الياس الديري

من يصنع الرئيس ؟

الياس الديري

من يصنع الرئيس؟

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الطبعة الاولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام
هاتف: ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٤٢٨ ص . ب ١١٣/٦٣١١ بيروت ـ لبنان

المقدمة

منذ إعلان دولة لبنان الكبير ، وموضوع الرئيس والرئاسة في لبنان من أبرز الهموم وأعقد المشكلات التي يتخبّط فيها نظام العائلات والعشائر ، إنما في نطاق ديموقراطية هشة يقتصر دورها على المظهر دون الجوهر . قبل الاستقلال الوهمي الذي أعطينا أياه نتيجة الصراع على النفوذ بين فرنسا وبريطانيا وبعده ، قبل الحرب القذرة وخلالها وبعدها كان الرئيس ولا يزال هو المحور السياسي الذي يستقطب كل ما عداه ويتحكّم باللعبة الديموقراطية وأسلوب ممارستها ، وهو بالتالي النقطة الجاذبة للمنافسات السياسية والانفجارات بين عائلات النظام وعشائره .

فالنظام هو الرئيس ، يكون على صورته ومثاله . يمتزجان . يصيران كلاً واحداً .

والرئيس هو النظام ، يهبط به أو يرتفع . يتطوَّر أو يتحجر . وحتى الآن النظام والرئيس من طينة واحدة . ثابتان .

حول الرئيس وعليه ومن أجله تهتز السيبة وتتعرَّض الصيغة للارتجاج .
والصيغة هي الرئيس .
والرئيس هو السيبة .

والصراع السياسي في المفهوم اللبناني يصبُّ دائماً في خانة الرئيس . فإما أن يكون الرئيس مدبِّراً للصراع ومخطِّطاً له ، دحراً لخصومه وسعياً الى التجديد ، أو أن يكون الخصوم والساعون الى ازاحة الرئيس هم المحرّك والطباخّون .

وتبعاً لذلك ، وفي اطار فولكلوري بدائي ، ترتسم المواقف وتتشكّل التكتّلات النيابية والشعبية ، وتتألّف أحزاب وتنشأ جبهات وتولد تجمّعات .

كل ست سنوات مرة يطل موضوع الرئيس ، فيغرق الوضع السياسي في

خضمّه وينتصب الميزان . وكل مرة نطرح السؤال قبل مجيء الرئيس الجديد ، لنطويه موقّتاً وريثما تقترب الولاية من صفحاتها الأخيرة ، فنعود اليه مثلما ودّعناه ضاربين في رمل الأسماء ، نتدفّق حماساً متناسين العوامل الحقيقية المؤثّرة والفاعلة في تكوين ملامح الرئيس وصياغة أوصافه وصناعته .

رئيس لبنان العائلات ، كانوا يسمّونه قبل حرب داحس والغبراء .

ثم فوجئنا بتقرير من واشنطن ينشر علينا بعد تسلّم الرئيس سركيس الحكم يستبدل عنوان العائلات بالأمراء . يستبدل التسمية . أمراء السياسة . أمراء الحكم . الورثة . المتعاقبون على الحكم ، المستأثرون به أباً عن جد وعن جد الجد .

قيل في التقرير يومها أنه غير دقيق .

والتقرير قال ان على رئيس لبنان الذي من غير الأمراء أن ينهي حكم الأمراء ، ويبدأ في كتابة صفحة جديدة لحكم جديد ولديموقراطية حقة ومؤسسات دستورية يكون انتماؤها أولاً وأخيراً الى الوطن لا الى العائلة أو الطائفة .

كيف ينتهي حكم الأمراء ؟
فالنظام اللبناني ، على علاّته مع التذكير بحسناته ، هو نظامهم . كأنه وُلِدَ معهم ، أو هو فصّل على مقاسهم . يناسبهم تماماً ويناسبونه .

والصيغة أيضاً .
والدستوران ، المكتوب منهما وغير المكتوب .
والتركيبة العجائبية .

والسيبة : واحد زائد واحد زائد واحد . . . ثلاثة . السلطات الثلاث .
وجميعها تدور وتحور لتستقر راضية مرضية في خانة الرئيس .
الرئيس هو الكل في الكل .
لبنان هو في تقليده الديموقراطي عبارة موجزة عن رئيس يتقلّد الحكم وفق خطة مسبقة ليتحوّل الى قضية سياسية قائمة في ذاتها .

قبل طوفان الكارثة كان ارتباط الرئيس بالوطن أو ارتهان الوطن بالرئيس متأتياً من التناحر السياسي تحت شعار « لكل عهد دولة ورجال » ، والأصح تحت شعار كل عهد جديد ينتقم من العهد الذي كان قبله ومن « العهد » الذي يمكن أن يجيء بعده . كان الرئيس يستهل حكمه بالانتقام من عهد الرئيس الذي سبقه ، من

الرجال والمشاريع والقوانين . ثم يتربّص بأي سياسي طامح الى الرئاسة . . . لينتقم منه أيضاً .

مع ذلك كان الوطن رئيساً .
وكان الرئيس وطناً .
فوصلنا الى الهاوية .
فلا الوطن وطن .
ولا الرئيس رئيس .

لم يبق من الوطن في معناه السياسي سوى ورقة الشرعية . ولم يبق للرئيس من سلطاته الدستورية سوى . . . القصر .

الاثنان اضمحلاّ معاً ، كونهما يشكّلان جسماً واحداً وكلاً متمّماً .
هذه المرة أيضاً سيكون الرئيس هو الوطن ، ولكن ليس على ما كان متبعاً وسائداً . وليس على أساس أن يأتي الرئيس فيأخذ الوطن . بل على أمل أن يأتي الرئيس فيأتي الوطن .

فللمرة الأولى يحتاج لبنان رئيساً يسترجعه، يوجده ،يبعثه من العدم . فالرئيس الوطن هو العنوان الحقيقي للموعد الذي ننتظره على أحر من الجمر في تموز بعد أشهر قليلة . من هنا القول أن انتخابات رئاسة الجمهورية أصبحت هي الأهم ، وستبقى كذلك من الآن وحتى يتم ما جاء في الكتب ويتم الذي فيه النصيب . فهذه المرة ولا كل مرة . وهذه هي المرة الأولى والأخيرة التي تجعلنا نعادل الرئيس بالوطن والعكس بالعكس . فمع الرئيس الذي سيكون لنا ، إما أن يكون لنا وطن وإما نيمّم شطر البحر . مع الآتي الى الرئاسة يبدأ مشوار التأسيس ، ومعه يبدأ طي الحلم في الذاكرة وختمه بالشمع الأحمر ، أو نكبّر على وطن الرئاسات ، ويكون الحلم اذ ذاك حلم ليلة صيف .
مهما ابتعدنا عن الهاجس الرئاسي ، ومهما طرأت أحداث في المنطقة وفي العالم ، نجد أنفسنا مشدودين الى دائرة الهاجس والدوران حول أحاديث لا نشبع منها عن الرئيس الوطن ، الرئيس الأمنية ، ومخاوف لا حدود لها من الرئيس الخيبة ، أو الرئيس المثل كل الرؤساء السابقين .

كيف لا ، وكل شيء عندنا أصبح مرتبطاً بموعد الاستحقاق الأكبر ، إن لم يكن موعد ولادة الوطن ، الذي طالما اقترعوا على ثيابه وهو في عالم الغيب ، وطالما

تكاثر العاملون على إزالته من الجغرافيا والتاريخ والاذهان قبل أن يولد .

الرئيس الوطن ، من يكون ، كيف نريده ؟

المواطن اللبناني يجيب فوراً أنه الآدمي ، القبضاي ، العادل ، النظيف ، الخلوق ، الطموح ، الذي يحلم كثيراً ويرسم على مساحة العشرة آلاف كيلومتر مربع خريطة جديدة نهائية الحدود لوطنٍ يعرف كيف يبني ذاته وكيانه ، ويعرف بالتالي كيف ينشىء مواطناً ويؤسِّس مواطنية . ويردم شريعة الوطن الدكان ، الوطن المزرعة ، الوطن الغابة .

الرئيس الوطن ، يريده اللبناني لكل لبنان الذي بات يتيماً من كثرة المتبنِّين وقلة البنين . ويريده رئيساً لكل لبناني ، متعاطفاً مع الضعفاء والفقراء ، متسامياً فوق الحزازات السياسية الباهتة ، متناسياً الماضي البشع وأحقاده وترهاته ، قاسياً حتى الاستبداد في تطبيق القوانين وفرض النظام ، طاغية في استئصال أمراض الفساد والجشع وعدم التورّع والمتاجرة بكل شيء ، نقيض المركنتيلية اللبنانية المتأصِّلة في المجتمع المسوَّس الموبوء .

فمن تراه يكون ، هذا الرئيس الأمنية ، الرئيس الوطن ؟

الرئيس صائب سلام ، المسلم العنيد في وطنيته ولبنانيته ، سمَّى الرئيس الذي ينشد ويتمنى ويتبنى . قال أنه يدعى ريمون أده . أما إذا تدخَّلت ظروف قاهرة معروفة وغير معروفة وحالت دوننا والعميد ، فصائب بك ليس عنده مانع في البحث عمن تتوافر فيه مقوِّمات بهذا الحجم وهذا الطموح . وما من لبناني الا ويتبنى ما تبناه الرئيس سلام ويسمِّي من سمّاه .

المهم الرئيس كيف يكون ومن يكون ، لنعرف منه ، من ملامحه وشخصه وصفاته ، ملامح الوطن واحتمال الانبعاث . طبعاً ، لا تتوقف الأوطان عند أشخاص وأسماء ، ولا ترتهن مصائر الشعوب بمجيء أو عدم مجيء فلان أو علاّن الى رئاسة الدولة . لكن أوطاناً كثيرة لم تر النور وتقف على أرض ثابتة وتصمد وتشمخ الا بفعل ارادة بلورها شخص قائد فارس ، في مستوى صناعة الأوطان وصناعة التاريخ . فالوطن ليس كمية من البشر المتهافتين على المنافع والمسالب ، ولا هو مساحة من الأرض يغتصبها ويهتك حرمتها كل من يدفع التسعيرة ، بل هو قائد شجاع ، مثالي ، يقول لشعبه كلاماً عن الأرض وكرامتها وقدسيتها يجعل الشعب مهما كان مركنتيلياً مصلحجياً وسمساراً يخجل ويتورَّع ويمتنع إن لم يكن مؤهلاً

لكي يكون على صورة قائده ومثاله .

وبقدر ما نقترب من موعد الاستحقاق الأكبر ، بقدر ما يكون السؤال الأساسي هو هل الدولة كمؤسسة ما زالت موجودة وحاضرة وفاعلة ، وهل ستكون امتداداً للدولة السابقة للانفجار ؟

في الجواب عن هذا السؤال ، كالجواب عن الهاجس الرئاسي وحلم الرئيس الوطن ، يمكن رؤية الكثير من الاشكالات والمفارقات التي يعيشها ويعج بها الحاضر اللبناني ، والتي ترتدي حيناً طابع الصراعات السياسية وأحياناً طابع الانفجارات الطائفية .

فالدولة ، أية دولة ، هي في النهاية اداة التوحيد الاجتماعي ، والضامنة للتوازن السياسي والاقتصادي . الدولة اللبنانية ، من هذا المنطلق أو المفهوم ، كانت تتويجاً لعناصر ومظاهر اجتماعية وطائفية لا ينطبق عليها تعريف الدولة الرأسمالية ، أو دولة النظام اليميني في المفهوم الماركسي اليساري . وهذا ما يفسِّر عوامل استمرارية دور الطوائف كقوى سياسية لها الكلمة الفصل حتى في ما يتصل بالنظام والصيغة والقوانين .

هل يتوصَّل لبنان الى صيغة الدولة ، فينتقل الوطن من وضعية الموقت الى الوجود المكرّس بارادة وطنية ؟

الجواب ينتظر وصول المؤسس وعودة الغائب غير المعروف وغير المنظور والذي طال غيابه .

هذا السياق في موضوع الرئيس والرئاسة يفضي بنا الى العنوان الكبير ، الذي تتفرّع منه أوردة الآلام الكثيرة والأمراض المتعدّدة التي تنهش الوطن الصغير ، خصوصاً في ما يعانيه وما وصل اليه من الانهيار : من يصنع الرئيس ؟

هذا هو العنوان ،
وهذه هي المسألة .

في السبعينات وعلى أبواب معركة المعارك ، في مثل هذه الأيام ، طرحنا موضوع الرئاسة والمسترئسين تحت العنوان نفسه مع عنوان فرعي « من المفوضيات الى السفارات » . ويبدو بوضوح اننا نسينا اضافة الموفدين والمبعوثين الى المفوضين والسفراء الذين يشتركون في حياكة ثوب الرئيس وصناعة عهده . وشرحنا بلسان

الشهود والوثائق كيف ولماذا ومن يصنع لنا رئيسنا .

إذن ، لا داعي للاستغراب وربما الاستنكار اذا عدنا اليوم الى هذه العلامة الفارقة ، كونها النقطة الأهم والحلقة الاساسية في مسلسل الرئاسة والطامحين والمستحقين .

طبعاً ، عندما نسأل من يصنع الرئيس اللبناني نكون قد تعرضنا لقدس الأقداس ، وتجاوزنا الأصول والأعراف والنصوص ، ناهيك بالارادة الوطنية والسيادة والكرامة . فالسؤال يصدم بالفعل ويضع المواطن العادي في مواجهة طالما تهرّب منها .

السؤال يصدم ، هذا صحيح .

والكلام في موضوع الرئاسة على هذا النحو وبكثير من المونة على دور الرأي العام والمجلس النيابي ممثلاً الارادة الشعبية يصبُّ تلقائياً في خانة التيئيس . وهذا صحيح أيضاً .

إلا أن الصحيح كذلك هو أن الرئيس لا يزال يُصنع في مجالس غير مجالسنا ، وفي كواليس بعيدة عن كواليس النواب والسادة والساسة ، ويُرسل لنا مع أطيب التمنيّات ، وبالهناء والشفاء . وهذا الكلام مكرّر أيضاً ، لكنه لا يزال صالحاً للإستعمال ومطابقاً لواقع الحال ومطبّقاً في دفتر شروط معركة الرئاسة والملتزمين القدامى وأصحاب العروض الجدد الراغبين في الاشتراك في مناقصة تموز المقبل .

في السبعينات أقاموا القيامة عندما فتحنا ملف الرئاسة من باب خلفي وعكس السير وخلافاً للسيرة المتبعة . كان الشعب اللبناني ، على إهماله ولا مبالاته ، لا يزال غارقاً في أوهام جميلة مداها الصراع الانتخابي ومضمونها الحزبية المتوارثة لهذه الزعامة أو تلك . لذا رفض الكثيرون الأخذ بما قلناه كفراً عن صناعة الرئيس .

فالرئيس لا يُصنع في مفهوم المواطن العادي ، وكلنا في هذا المجال عاديّون جداً ، لذا بقي المتحزب لريمون اده يعلّق صورته على مدخل بيته طوال معركة الرئاسة ، اقتناعاً منه بأنه يساهم فعلياً في وصول العميد الى القصر . وفي المقابل ، ظل المتحزّب للرئيس كميل شمعون يقول للمشتغلين في طبخة الرئاسة طوّلوا بالكم قليلاً فالرئيس لم يجتمع بعد عند كاظم الخليل ويفتح أوراقه . ولا يزال من الصعب اقناع المواطن العادي بأن ليس صائب سلام ، قائد ثورة 1958 هو الذي كرّس مجيء

اللواء فؤاد شهاب الى القصر ، وان مجمع الكارلتون كان ينفذ ولم يكن يختار عندما أعلن ترشيح شارل حلو ، وان اختيار الرئيس الياس سركيس لم يتم نتيجةً لرجحان كفّته لدى الأكثرية النيابية .

بات لزاماً علينا أن نعرف ونعترف أن رئيس الجمهورية تنتخبه لنا وعنا ارادة دولية مشفوعة بمداخلات عربية جزئية ، وفق شروط ومواصفات تضعها هي ، وهي تسمّي من تتوافر فيه ، قبل أن يجتمع النواب في ساحة من الساحات أو في قصر من القصور ويقترعوا لمن اختارته الارادة تلك . خصوصاً أن فظائع الحرب القذرة وغرائبها لم تترك مجالاً للشك في أن الارادة اللبنانية مستعارة ومؤجّرة في الوقت نفسه ، وان الرئيس اللبناني لا يُصنع في قصر منصور ولا في معامل الزوق أو مصانع كسارة .

هل يكون الرئيس الوعد ، الرئيس الوطن ، الذي ننتظره مصنوعاً أيضاً ، مصنوعاً نيابة عنا ومفروضاً علينا ؟

حتى الآن ليس في الساحة من يستطيع أن يقول العكس .

فالطامحون من المسترئسين ، على كثرتهم ، لم يتركوا سفارة في الداخل الا وطرقوا بابها ، ولم يتركوا عاصمة دولية لها دورها في صناعة الرئيس الا وزاروها وأرسلوا اليها من يتحدّث عن استعداداتهم لتلبية كل الرغبات وتنفيذ كل الشروط والالتزام بكل القيود : اصنعونا كما تشاؤون ، المهم أصنعونا رؤساء وأجلسونا في القصر .

قبل الاستقلال الوهمي الذي أنالونا اياه ، مستبدلين الانتداب الفرنسي بالاستقلال الانكليزي . وبعد الاستقلال الذي تعاملنا معه بأخلاقية التابع المنتقل من متبوع انكليزي الى متبوع اميركي الى مستعد للتبعية تحت أية بنديرة وأية تسمية ، وأي شروط .

من المفوض السامي والزحف الى مجلسه الكريم وتبخير الأرض التي يتغندر فوقها ، الى السفير السامي الذي نهبُّ اليه زرافات ووحداناً طالبين الرضا ، غبرة الرضا ، وصفو الخاطر ولفتة من نظركم الكريم ، الى المبعوثين السامين الذين يتزاحم المسترئسون الذين برسم التصنيع على الاتصال بمرافقيهم طالبين موعداً ولو لدقيقة على الواقف .

لم يتغيَّر شيء ولم يتبدَّل حرف منذ كان لنا رئيس ، منذ رئاسة المرحوم شارل دباس . ومنذ ذلك الرئيس وهم يصنعون لنا رؤ ساءنا ، ونحن نصفّق ونتحمّس ونعلّق الصور ، عاملين على ايصال مرشحنا الى القصر . ومنذ ذلك الرئيس والمرشحون لم يدخلوا تعديلاً واحداً على أسلوب الترشيح . يعملون في السر وينكرون في العلن . . . ينتظرون موعد فض العروض وقبول واحد منها في التزام الرئاسة .

* * *

من تحت أنقاض لبنان الأمراء ننتشل بقايا الذاكرة غير المتلفة . ومن بين انقاض الذاكرة نقتلع نتفاً موجعة من الأحداث والحكايات ، ننفض عنها غبار النسيان ، فيمثل لنا في الحال وطن كان ولا يزال ضحية صراع أمراء الداخل على جبنة الحكم حتى ولو أدى الصراع الى التقويض والانهيار ، مثلما كان ولا يزال ضحية صراع أمراء الخارج على امتلاكه والاستئثار به . وكثيراً ، بل دائماً يلتقي الأمراء ، وتتوافق الشهوات ويكتمل التداخل الذي يتجلّى في استسلام طوباوي لمشيئة المصنع الخارجي .

فمن بقايا الذاكرة المرصّعة بتخوم من الخراب والرعب ، نعبر احتفالات القتل الجماعي وكرنفالات سدوم المتوسّط في اتجاه لملمة الخيوط وجمع الشتات . بعض الضوء ، بعض الصور ، بعض الأصوات ، بعض الوجوه . . . . فإذا بنا أمام بعضٍ من لبنان ، أمام فصول غير متكاملة من حكايته وحكاية هذا الكتاب الذي أُريد له أن يَمْثُل مرة أخرى في قاعة الشهادة حيث يدلي بافادته ، يقول ما عنده ، يشهد بما يتراءى له أنه الحق ، يؤ دي ما يظنّه واجباً وأمانةً ويقفل دفتيه مأذوناً بالانصراف .

مرة أخرى ، « من يصنع الرئيس » ؟

أجل . لقد سبق لـ « من يصنع الرئيس » أن أمتثل ومَثُلَ وأدلى بالشهادة . ولم تكن في حينه قد اندلعت حرب داحس والغبراء ، ولم يكن ثمة ما يومىء بأن الأخ سيأكل أخاه والجار ينكر جاره ، فيما حكم العائلات حكم الأمراء يواجه زلزالاً صاعقاً يهدّد في طريقه السيبة المسوّسة وما اتفق على تسميته الصيغة الفريدة والنموذج اللبناني للتعايش بين ما تيسّر من المعتقدات والانتماءات والآراء .

ومن باريس ، تقول الذاكرة . من باريس التي كانت منتدبة ومفوّضة واماً

حنوناً ، وبُعَيْد الاستقلال بثلث قرن ، خرجت الاشارة الأولى من علامات الزمن الرديء الذي نرزح اليوم تحت قبضته الملوّثة ، رافلين في عاره ، متنعّمين بأعلى درجة من الاهتراء الخلقي والانحطاط الانساني والتفكك الوطني .

فلنعطِ بقايا الذاكرة سمة مرور ، ولندعها تروي القليل من محفوظاتها .

والذاكرة تقول أن ذلك حدث حقاً وقبل حوالي ثماني سنوات . فذات يوم من العام 1974 ، وكان العام يتهيّأ للوداع ولملمة آخر الأيام اللبنانية الهادئة ، كنت في باريس . كان الوقت مساء ، بعد قليل من المغيب الباريسي الدائم العبوس وكأن لا شمس تمر به ولا يخاطبه قمر . جو العاصمة الفرنسية لم يكن دافئاً تماماً ، والطقس الرمادي الشاحب يرسل مطره كخصلات شعر كستنائي متهدّل من دون رعود أو بروق ، مما يجعل باريس ومطارحها الدافئة أقرب الى سكون الخلوة مع الذات .

كانوا ثلاثة ، أحدهم سياسي محترف ومتفرّغ .
وكان الحديث متقطّعاً ، يقفز من قبرص المقسّمة الى هدير الأحداث المتجمعة في أجواء بيروت ، الى تدفق الأسلحة ، الى التوتّر السياسي على كل صعيد .

كانت الحرب احتمالاً ممنوعاً من التداول .

وكنت أحد الثلاثة الذين التقوا صدفة في باريس ، وتجالسوا صدفة الى طاولة مشرفة على جادة جورج الخامس في محاذاة نافذة ذلك الفندق .

فجأة انطلق صوت من داخل الى خارج .

التفتنا ، فإذا بالسياسي الذي معنا يؤ شّر بيده لرجل كان يمر عابراً . دخل الرجل مبتسماً . فاستقبله السياسي متهللاً : أنه صحافي أميركي ، تربطني به علاقة قديمة . أنه شيطان يعرف أسرار المطبخ الأميركي والأصناف المفضلة لدى إدارة السي . أي . اي . محتال .

هكذا قدّمه لنا السياسي .
فعلاً ، يبدو أنه شيطان .
وجهه مليء بالألغاز وعيناه لا تستقران في اتجاه لحظة واحدة .
ـ هلو .

- هلو جو . أجلس معنا .
- مستعجل .
- إجلس ، خذ كأس بيرة على الأقل .
- عندي شيء مهم أقوله لك .
- إجلس .

وجلس .

- أين كنت ، ماذا جاء بك الى باريس ؟ وجودك هنا يجعلنا نفكّر في احتال وقوع أحداث فرنسية .
- الأصح أن تفكروا في احتال وقوع أحداث لبنانية .

سقط الصمت علينا دفعة واحدة ، كأن رأس كل واحد منا تلقّى ضربةً من قطعةٍ فولاذية .

لكن الصحافي الأميركي الشيطان انتشلنا من الصمت عندما استأنف الكلام ، مدركاً أنه أوقعنا في دائرة الاستفهام المثير .

قال : كنت في قبرص .

كأنه أدلى بأمر لبناني : قبرص ؟

قال : أجل .

- ما رأيك ؟
- الأمر الواقع
- سيستمر ؟
- طويلاً . ولكن ، ليس هذا ما أريد قوله الآن . أظن أن عليكم أن تنتبهوا الى بلدكم ، فقبرصة لبنان واردة جداً وجديّاً .

وسكت .

- أكمل، حثّه السياسي . أكمل . من أين لك هذه المعلومات ؟ انك تمزح .

وسكت : لست أمزح . هذا كل شيء .

وقف السياسي ، أخذه من يده وانتحى به جانباً .

ولما عاد الينا لم يكن في حاجة الى قول أي شيء كما أننا لم نكن في حاجة الى الاستفسار . لقد عاد بوجه آخر ، وجه مقطّب مغلق غامق اللون ، فارقه الإشراق الذي كان له قبل لحظات .

إتفقنا أن يبقى الحديث بيننا : من شأن أي كلمة أن ترسل البلد الى كارثة .

إلا أن الحديث الذي كان بيننا متقطّعاً ونطناطاً استؤنف متركّزاً على موضوع واحد : الدولة . الدولة غير موجودة . الوطن غير موجود . كلنا في خبر كان . لم نؤسّس دولة . ورثنا مشروع دولة عن الانتداب الفرنسي ، فخربنا المشروع وأعدنا الأمور الى خانة الصفر . الحزازات الضيّقة . سياسة المختار والناطور . إبن الخوري وإبن اده . ابن شمعون وابن شهاب . إبن اده وإبن الجميّل . واضح أن مرضاً أخلاقياً يسيّرنا دولة وشعباً . حالة مرضية مزمنة تقصم ظهر البلد وتجعله دائماً في مهب الريح ، مرمياً على بساط البحث مصيراً واستقلالاً ووجوداً .

- مسؤولية من ؟
- رئيس الجمهورية هو المسؤول .

الرؤساء لم يفعلوا شيئاً . لم يبنوا ولم يؤسسوا . كل رئيس يأتي بعائلته ويفلتها في المزرعة . والمواطن يرى ويسمع ، فيقول بينه وبين نفسه اذا كان الكبير يعمل السبعة وذمتها فلماذا يطلبون مني أن أبشّر بمكارم الأخلاق .

- الرؤساء ؟
- الرؤساء نعم . ولا رئيس جاء وقال سأعمل شيئاً للبلد . سأرضي ربي وضميري . لا . يرضي فقط عائلته وجماعته أولاً ، ثم يقف على رضا القوى النافذة في الخارج . رضا أميركا وروسيا والفاتيكان . رضا مصر والسعودية وسوريا . رضا الذين رضاهم يؤمن له غطاء شرعياً ويمنحه فرصة قد تحقق له رغبة التجديد . التجديد التجديد . كل رئيس يأتي يستهل حكمه بالتخطيط للتجديد . ما هذا المرض ؟

. . . الرئيس .

إنه المرض .

إنه الرئيس المرض

إنه مرض الرئاسة .

إنه المشكلة المستعصية .

كلهم ، الذين الرئاسة من طائفتهم يريدون الرئاسة بأي ثمن ، بل مهما بلغ الثمن . يسيل لعابهم ويجرضون جرضاً عندما ينذكر اسمها . وكلهم مستعدّون

مسيرتها ، ولأن موّالها لم ينته : ولا يزال أمامها تقويض لبنان الفلسطيني وتكسيره وتسكيره ثم اسكاته ، بعدما قضت على لبنان القرطاجيين الجدد .

وجميعهم مع المؤ امرة معها بشكل أو بآخر مباشرة ومداورة .

وجميعهم ، عرباً ولبنانيين ، لم يقصّروا في ذبح الشقيق الأصغر والأضعف و . . . الأحمق بل انهم كانوا وما زالوا يتسابقون الى تسهيل مهمة المؤ امرة ونحر لبنان الأزعر تحت أقدامها . وبدل الضحية الواحدة يقدّمون لها المئات والآلاف . إنهم ما زالوا يدلّلون على الجثة .

وتجار قرطاجة يعملونها من غير أن يرف لهم جفن . . . وسيعملونها ، يقول الصحافي الأميركي الذي قَرِفَ بدوره من زعمائنا ونوابنا وسياسيينا .

ما علاقة المؤ امرة وصانعيها بـ « من يصنع الرئيس » ؟

بقايا الذاكرة تنفتح شهيتها على الثرثرة ونبش أوراق القهر من خلف الدهور . فالعلاقة أكيدة ووطيدة بين صناعة المؤ امرة وصناعة الرئيس. أنهما توأمان من رحم واحد وعلى يد قابلة واحدة ، اسمان لمسمى ، من ماركة واحدة ، من مصنع واحد . بل هما اسمان لمرض واحد .

من يصنع الرئيس ،
من يصنع المؤ امرة ؟

المفوض السامي ، القنصل السامي ، السفير السامي ، المبعوث السامـي ، الممثل الشخصي السامي للرئيس السامي .

لم يتغيّـر شيء .

كَبُر حجم اللعبة فقط . تطوّر أسلوب اللاعبين مع تطوّر الوسائل المستعملة وتعدّد أنواعها . وكبر حجم النضرر . كانت تنقضي بإضراب يوحي به المفوض أو السفير أو المبعوث . ثم لم يعد يكفي الاضراب واقفال المدينة واصدار البيانـات المقتضبة . فمع حلول صيف1958 دخل عنصر المواجهة المسلحة وتثوير المعارضة الداخلية بتحريض خارجي ، وتحت شعارات جاهزة وموضّـبة باتقان ، تطرح في الأسواق والأندية والمجالس حيث تجد من يتهافت عليها ويتبنّـاها للحال .

كل عمرها هكذا! .

وكل عمر الزبيبة اللبنانية معقوصة بعود خارجي .

وكل عمرها السياسة اللبنانية العليا تبدأ بالـرئيس وتنتهـي عنـده . فالـذين يصنعون الرؤ ساء يطلبون الكثير ، وفي أحيان يطلبون ما ليس في قدرة الرئيس تلبيته أو الموافقة عليه . يطلبون منه حتى خطوط الاحراج وعندما يتقـاعس يبـدأ فصـل الاخراج . وأول الذين أُحرِجوا فأُخرجوا كان الرئيس الشيخ بشارة الخوري . طلبوا فتملّـص حتى الرفض . أحرجوه فلم يكن في إمكانه الموافقـة . فأخرجـوه بثـورة سلمية . وفي كتاب « حقائق لبنانية » لا يكتفي الشيخ بشارة بالتلميح بل يذهب الى حدود تسمية الأشياء بأسمائها .

الرئيس كميل شمعون أيضاً .
ثم الرئيس فؤ اد شهاب .
ثم الرئيس شارل الحلو .
ثم . . . .

طلباتهم لا تتوقف . وفي معظمها هي طلبات تشبه الأوامر والقرارات ومن العيار الثقيل الذي لا يستطيع رئيس لبناني ابتلاعه والتآلف معه .

وإذا رفض الرئيس تقوم القيامة . يقيمون القيامـة عليه . تهـدر الثـورة في الشوارع ويلعلع الرصاص وترتفع اللافتات ويقترب كل شيء من نهايات دراماتيكية عاصفة ، كما يحشرون مصير الكيان في الدق . يصبح لبنان هو المستهدف . فوراً ترتفع أصوات تنادي بعروبة لبنان وضرورة انتمائه الى محيطه الجغرافي والانساني ، فتقابلها أصوات تنادي باللبننة . . . وتنهمر الاتهامات ، فلا يعود أحد يسمع أحداً أو يفهم على احد. برج بابل : امتيازات وغبن وخوف وانعزالية وشعوبية وأي لبنان نريد ، لبنان المستقل ذو المميزات أم لبنان المثل بقية الأقطار العربية أم . . . .

يختلط الحابـل بالنابـل ويسـود هرج ومـرج ، ويصبـح من المتعـذّر بل من المستحيل التدخّـل وتفريق الأصوات المتشابكة . فالقرار قد اتخذ . وعندئذ يكون الرئيس قد تبلّـغ الرسالة ، فيجمع أوراقه وحقائبه ويستعد للرحيل .

بعد وقوع الواقعة يصل المبعوثون الذين يحطّـون الرحال متلهفين الى تقديم المساعدة والعون في سبيل ايجاد الحل وانهاء الأزمة ، أو لتأكيد دعم الشرعية وتمكينها من ممارسة سلطاتها الدستورية وبسط سلطانها على الأراضي اللبنانية كافة ، مع تأكيد

حرص بلاد المبعوث على السيادة والاستقلال والصيغة والنظام .

والرئيس ؟
لا حول ولا قوة . . .

يفقد السيطرة ويفلت من يده زمام الأمور . يدرك فوراً ان « المصنع » ليس راضياً وينوي تغيير الماركة وانزال مادة جديدة الى الأسواق . يعرف أن سبيرز ومورفي وماير وبراون وحبيب إسم واحد وقرار واحد ومصنع واحد .

دائماً الرئيس .
دائماً المشكلة .
ودائماً « المصنع » .

والوطن الصغير لم يكن يوماً هو نفسه . ورئيسه لم يتمكن من أن يكون هو نفسه الرئيس . وشعبه لم يكن هو شعبه . فالحال من بعضه ، والدوامة هي ذاتها . كل ست سنوات مرة . وكل مرة خضّة عرمرمية ، مع ذهاب الرئيس السلف ومجيء الرئيس الخلف . وكل مرة نقول هذه المرة ، هذه هي المرة الأخيرة المرة الأولى . فتطلع سلتنا فارغة . ونظل نحكي طوال ست سنوات عن الرئيس المنقذ والرئيس المؤسّس والرئيس الوطن والرئيس المعجزة . نتحدث عن الدور والقائد والبطل .

والدور رئيس .   والبطل رئيس .
والقائد رئيس .   والشعب رئيس .

في الشهر الرابع من العام 1976 ، في مجلس ضم قدامى الاستقلاليين ومن أمد الله بأعمارهم من شهود عصر الجنرال سبيرز والعهدين الأولين من عمر الاستقلال ، والحرب في أوجع مراحلها ، طرحت مسألة الرئيس و« المصنع » والمستر دين براون الذي أوفدته الحكومة الأميركية الى بيروت في خضم الأحداث فظنّت العاصمة اللبنانية أن الموفد الأميركي جاء ليوقف النزف الصاعق . . . ففوجئت بأنه آتٍ ليبحث في موضوع الرئيس ومن يخلف الرئيس سليمان فرنجية مع الشروط المشدّدة التي لا لبس فيها ولا غموض .
وكان الحوار الآتي :
- هل يعيد التاريخ نفسه على المسرح اللبناني ، فتنتهي مذبحة 1976 كما انتهت مذبحة 1958 ؟

- مع حفظ الفارق بين حجم مذبحة اليوم وحجم مذبحة الأمس ، يمكن القول ما اشبه اليوم بالبارحة .

ذلك أن لا شيء مستبعد أو مستحيل . وكل التطورات المتلاحقة ، عسكرياً وسياسياً ، توحي بأننا على أبواب تسوية مماثلة لتسوية 1958 نصاً وروحاً ، ومن دون زيادة أو نقصان . . . إلا في عدد الضحايا وعدد الحرائق وعدد الأبنية والمؤسسات التي لا تزال واقفة من غير تهديم واستبدال المستر روبرت مورفي بالمستر براون .

- لا بد من تعديل طفيف في السيناريو وأسماء الأبطال واسم المخرج . غير ان المراقبين يؤكدون انه حتى التعديل غير وارد ، إلا بالنسبة الى الكومبارس والأبطال الثانويين وألوان الديكور . مع اضافة فصل جديد متداخل مع الفصل القديم ، في المسرحية الدموية ، يدعى القضية الفلسطينية .

فالسيناريو هو نفسه . والأبطال هم أنفسهم . كذلك المخرج ومساعدوه ، مروا بالمنتج والمساهمين في النفقات والاكسيسوار . عربياً ودولياً .

وربما كان هناك احتفال جنائزي كبير ، يعقبه احتفال تبويس لحى وعناق ، ثم احتفال غسيل قلوب وعفا الله عما مضى وتحت اشراف أميركا وبمباركة بعض العرب أو كل العرب ومورفي براون . . . حبيب . . . .

- في كل حال ، لا شيء مستبعد أو مستحيل . ومن مراجعة أسماء أبطال مذبحة 1958 ثم مراجعة أسماء مذبحة 1976 ، يستطيع أي عابر سبيل وأي مستشرق في الشؤون اللبنانية والعربية أن يقول ما أشبه اليوم بالبارحة . فالفريقان لم يطرأ على أي منهما تعديل . فقط ، انتقلت بعض أحجار الداما من هذه الخانة الى تلك . والفرقاء العرب أيضاً . والفريق الأميركي خصوصاً . ثم الشعارات الوطنية والتغييرية .

- سنة 1958 كانت هناك قضية عربية وعالمية تدعى الرئيس جمال عبد الناصر والتيار الوحدوي الذي قاده ، وكانت هناك قضية لبنانية صغيرة تدعى التجديد أو عدم التجديد لرئيس الجمهورية . فالتقت القضيتان على حد السيف . ولا أحد يعرف حتى الآن أيّاً من القضيتين خطا الخطوة الأولى في تلك المذبحة . المهم أن المذبحة وقعت ووقع لبنان والشعب اللبناني فريسة الصراع على النفوذ بين أميركا و . . . . أميركا الأخرى ، أي بريطانيا .

- وسنة1976 كانت هناك قضية عربية وعالمية تدعى المقاومة الفلسطينية ومعها الحلول السياسية وجنيف ومشروع الدولة الفلسطينية ، وكانت الى جانبها قضية لبنانية صغيرة تدعى رئيس الجمهورية الخلف الذي يؤمّن الاستمرارية لرئيس الجمهورية السلف .

- طبعاً ، التقت القضيتان مجدداً ، فكانت الحرب وكان هذا الانكسار الموجع للوطن الصغير وللشعب الذي يتدافع بالمناكب سعياً وراء الشعارات الجوفاء والاغراءات الاستغلالية .

- سنة1958 انتهت الثورة أو كادت تنتهي وتندمل الجروح ويعود كل واحد الى بيته ، فقامت الثورة المضادة . . . ليشترك الجميع في جني ثمار دم الأبرياء . واشتركوا فعلاً .

- أعطت الثورة والثورة المضادة ثمار الحكم لأبطال الثورتين .

- وسنة 1976 انتهت المذبحة الرهيبة أو كادت أن تنتهي وتتوقّف هستيريا القتل الجماعي والتدمير الانتقامي ، فقامت المذبحة المضادة البشعة . . . . ليشترك الجميع ، وباسم التطور والعدالة ولبنان المستقبل ، في جني ثمار دم الأبرياء . وسيشتركون حتما واكيدا . وستصل الى كل منهم حصته بالعدل والقسطاس .

- سنة1958 أوفدت واشنطن مبعوثاً يدعى المستر مورفي ليستقصي ويطلع ويتحدث مع أطراف الثورة ، بعدما قُتل مَنْ قُتِلْ وتهدّم ما تهدّم . وسنة1976 أوفدت واشنطن مبعوثاً يدعى المستر براون ليقوم بالمهمة ذاتها وبعد خراب البصرة .ولكن هذه المرة من دون أسطول ومارينز .

. . . .

وانتقل الحديث الى البطل والدور واليأس . وكان شبه إجماع على أن الدور لا يزال يبحث عن البطل . والبطل لم يأت بعد . احترق لبنان في انتظار البطل . انطفأ الحريق والبطل لم يأت بعد . كان يمكن أن يكون الشعب اللبناني هو البطل وصاحب الدور الذي يملأ الفراغ . لكن الشعب كان هو الآخر ينتظر بطلاً يخلصه من مأساته وينقذه من المأزق المصيري وينقذه من نفسه . وكان يمكن أن يكون الأبرياء هم البطل . فكانوا الضحايا . وكان يمكن أن يكون الحكم هو البطل ، فكان الفراغ . وكان يمكن أن يكون المثقفون هم البطل فكانوا في عداد الجلادين . وكان يمكن أن يكون البطل أحد الذين ندموا على ما فعلت أيديهم ، وفي لحظة

احتضار وجداني قرر أن يكفّر عن ذنوبه . الا أنهم كانوا في الضفة الأخرى حيث البطل لم يكن هناك .

قبل الحرب كنا نظن أن البطل خدعة تاريخية يفتعلها شعب ما في أزمة ما ليتصالح مع ضميره ، فيقول هذا هو البطل الذي كنت أنتظره . إلا أنه يكتشف بعد قليل أنه كان يخدع نفسه ، وأن البطل الذي اخترعه لم يكن هو البطل الذي كان ينتظره .

هذا ما حصل للشعب اللبناني ، المغلوب على أمره ، بعد أقسى وأبشع محنة . فكل يوم كنا نتوقع أن يطل البطل ، يطلّ على صهوة جواد مطهّم ويشهر سيفه . ويهتف لنا ويقول بصوت يدوّي فوق صوت المدافع : ها أنا قد أتيت وأقدمت ولبّيت .

وطال الانتظار .

كاد الشعب المغلوب على أمره أن ييأس . وقد يئس بالفعل . وها هو اليوم ينده على البطل الذي لم يأت الى الدور التاريخي .

لقد استجار الوطن الصغير من رمضائه بعمرو . بعمرو ما . بكل عمرو على وجه الأرض . وعلى أمل أن يكون هناك عمرو ما في مكان ما تحت سماء ما فوق أرض ما . ويستجيب . ويخلّص وطناً وشعباً وقضية .

شهود الزور أكثر من أن يحصوا على أصابع اليدين الاثنتين ، وكل الأيدي اللبنانية . انما الأبطال قلة . وقلة الى درجة أن أحداً منهم لم يظهر حتى الآن . على رغم ما حدث للإبن الضال .

البطل ، ان الدور التاريخي على أحر من الحرب . وعلى أسرع من الآلة الجهنمية . فكلهم كانوا أقزاماً يوم رفعت الحسناء السبية سترها . وبالفعل ما كانت الحسناء ترفع سترها لو أن في هذي الجموع رجالاً . فكيف بالأبطال . بل كيف بذلك البطل التاريخي الذي يفترض أن يكون هو ضمير الوطن وضمير الشعب وضمير الله . وهو قضاء لبنان وقدره .

عرفناهم جميعهم في الحرب وقبل الحرب وفي السلم وبين بين . واحداً واحداً عرفناهم . واحداً واحداً سمعناهم . من فجر الاستقلال الى ليل المحنة . ليس بينهم بطل . صيارفة وفريسيون وكتبة وباعة حمام . وباعة أسلحة وباعة أوطان .

يستحيل أن ينبت من بين الصيارفة وتجار الهيكل بطل يحمل سوطاً ويصرخ بصوته ، ويطهر الهيكل اللبناني من الفساد والرشوة والمفسدين والمرتشين وشهود الزور والذين حوّلوا الوطن الى دكان وحوّلوا المواطنية الى كشة فوق ظهورهم محمولة .

من دون شك ، سيظل هناك من يقول أنه هو البطل . وأنه حاول ملكاً . غير أن السنوات السبع من القتل والتدمير تمخضت فقط عن « أبطال » يتنافسون على الأرائك الجالسة فوق الجثث . فأينَه ذلك الحامل الكرباج يقتحم هذا الهيكل الذي يعج باللصوص ؟

* * *

وللمناسبة تتوثّب الذكرة وتتثاءب بوجع وهي تسترجع حكاية الولد الأزعر الذي وقع في الفخ . كيف استدرجوه الى جورة حفرها هو في طيشه وغيّه ، كيف رغّبوه وأرهبوه وأرغموه على الغطس في بحر ألاعيبهم .

والحكاية هذه تنطوي على خلفيات لم يمر عليها الزمن بعد . فقد كنت في مهمة خارج لبنان ، أحمل رسالة شفهية ، أواخر العام1975 ، من أربعة رجال بقي اثنان منهم على قيد الحياة .

كان الذهاب مفجعاً .
وكان الاياب أكثر إيلاماً .
وكانت الخلاصة التي تسقط منها هنا الأسماء والتفاصيل الدقيقة أمانة للغائبين واحتراماً للحاضرين ، في هذا الإطار التعميمي :

إن صورة لبنان في الخارج في حجم مأساته تماماً ومنغّصة مثل سمعته . والحديث عن الكارثة اللبنانية يكاد يكون خالياً من أية شفاعة أو أسباب تخفيفية . كلهم يدينونه . لا شماتة بل من فرط لوعتهم .

ومن خارج يبدو لبنان كولد أزعر وقع فجأة في الفخ . اصطادوه وهو يغنّي على ليلاه . لذا تجد الناس هناك ضده ومع معاقبته أكثر مما هي مع انصافه . وغالبية الأصابع التي ترتفع في وجهك كلبناني إنما ترتفع لتتهمك ولتبلغك غضبها عليك .

كبيرة مأساة لبنان في الخارج . ومن خارج تتراءى لك المحنة على حقيقتها ، عارية وجسدها مشوّه وبشع ، ووجهها مليء بالندوب والعلامات الفارقة . ويصير

وجهك وجهها . وتصيران واحداً . وتحزن ويصبح حزنك في حجم العالم عندما تسمعهم يشفقون على وطنك الصغير ويرثونه أمامك . ولا تعود الأرض كروية تدور على محور وهمي . بل تتسطح وتتحوّل الى خنجر محفور عليه اسم لبنان . وتحار ماذا تقول وهم يحاصرونك بالشفقة الباردة . بل ماذا تجيبهم عندما يسألونك ماذا حدث لكم أيها اللبنانيون ، ماذا أصابكم ؟

في كل مكان ينتظرك سؤ ال بارد . وتنتظرك نظرة باردة . وتنتظرك ابتسامة محنطة . وينتظرك الاتهام : ماذا فعلت أيديكم ؟

ثم يقدمون لك الصحف . كأنها مضبطة الادعاء . كأنها الحكم القطعي . من العنوان الى الصورة الى التفاصيل كلها تدينك . هذا أنت ، تقتل وطنك .

من خارج يبدو الوطن كأنه تحوَّل الى نقطة سوداء على خريطة العالم . فلا كلام عنه إلا اذا كان مرفقاً بعلامات الاستفهام والتعجب والدهشة . ولا سؤ ال عما حدث للولد الازعر الا اذا كان مصحوباً بالاستنكار والاستهجان . تشعر أنهم ليسوا مع مأساتك . بل انهم يشعرونك انهم ضد مأساتك . فالصحف لا تعالج أسباب الكارثة ، إنما تتحدث فقط عن فظاعتها . وتضيف الى ذلك وصفاً مسهباً عن تفظيع اللبنانيين باللبنانيين وبلبنان . وليس بحياد أو موضوعية بل بما يشبه القرف .

والسياسيون الذين يعرفون لبنان ، وهم أيضاً مقهورون على لبنان وغاضبون على اللبنانيين ، يسألونك باستنكار كيف استطعتم أن تضيّعوا وطناً جميلاً وتخرّبوا بلاداً كانت كمثل أميرة . ولا يتوقفون في انتظار أي جواب عن السؤ ال . كأنهم يصدّقون ولا يصدقون .

والديبلوماسيون العرب مثلهم مثل الديبلوماسيين الأجانب . يحاولون بشق النفس أن يبرروا بعض جوانب المذبحة لعلهم يخففون من سواد نقطة الحبر الأسود الواقفة في حلق العالم .

من خارج ؟ الكارثة أكبر .

وفي الخارج تنتظرك مأساة وطنك على كل رصيف . وفي كل سيارة . حتى سائق التاكسي يشعر بالحرج عندما يعرف أنك لبناني . فلا يعود يعرف كيف يحدّثك عن لبنانك . لكنه قبل أن تفتح الباب وتغادره يودعك بسؤ ال قاس : الى هذا الحد تكرهون وطنكم ؟

وتسمع الكثير الكثير . وتفهم ، من خارج ، لماذا حدث ما حدث .

مثلاً : يقول لك الذين يعرفون أن المؤامرة التي نفذها اللبنانيون ضد لبنان هي في كل حذافيرها من صنع أجهزة المخابرات . وهنا تتداخل كلمات ملغومة عن أدوار مريبة لمختلف اسماء وألوان أجهزة المخابرات في العالم . من الغرب الى الشرق مروراً بأوروبا ودول المتوسّط .

لكنهم يستغربون كيف التقت أجهزة المخابرات الدولية على الساحة اللبنانية من أجل غرض واحد . وكيف برهن اللبنانيون أنهم أبرع من أجهزة الالكترون في تنفيذ الأدوار . بل أبرع من الأزرار في دقة التنفيذ .

ويقولون في الخارج ، أن اللبنانيين أكدوا خلال محنتهم أنهم لا يستحقون وطناً مستقلاً ، حتى لو كان هذا الوطن ولداً أزعر فالتاً ، مغروراً ، مهووساً . وبعضهم يذهب الى حد القول أنه كان حراماً على فرنسا أن ترفع يد انتدابها عن الولد الأزعر قبل مئة سنة . وكان حراماً على السياسيين اللبنانيين أن يحوّلوا استقلال التراضي والرياء الى دكان مشرع الأبواب ، يبيع مختلف انواع البضاعة لشتى أنواع الناس .

وبحسرة كبيرة يقولون عندما يعرفون أنك آتٍ من وطن المذبحة انه لو كان في لبنان حكم ودولة وسلطة وشعب لما استطاعت مؤامرة أجهزة المخابرات أن تحقق أغراضها .

حتى الذين كنا نظن أنهم سيقفون بعناد وصلابة الى جانب لبنان عندما يتعرض للخطر ، يكتشف اللبناني في الخارج أنه كان يستند الى جدار من الوهم ويكتشف انهم ليسوا موجودين . ويكتشف أيضاً أنه ليس معهم وقت لمأساة الوطن الصغير . مشغولون في أمور أخرى . مشغولون في استقبال رجال البترول ورجال المال ورجال البلاد الآمنة . لا وقت للولد الأزعر . نفضوا أيديهم منه . وحده في الخارج كما هو وحده في الداخل .

إلا أنك ترمي حزنك على الرصيف وتخلع ثياب المنفى وتحزم وطنك المشلع فوق جبينك . وتعود . تعود لتقول له أنك وحدك . ولأنك وحدك يجب أن تكون وطناً عظيماً لا مجرد ولداً أزعر يهرب منه الناس أو ينصبون له فخاً ، أو تدبّر له أجهزة المخابرات مصيدة ينفذها ضده وعلى أرضه ابناؤه وأصدقاؤه وأشقاؤه . . .

* * *

في نهاية هذا المطاف ، نعود الى بيت القصيد حيث الرئيس والرئاسة

و« مرشحي الصمت زين . . . » والموفدين وحاملي الاختام وأشهر ماركات البضائع المعلبة والمتكلمين باسم أشهر مصانع الرؤساء والأحداث والكوارث .

نعود الى السؤال ـ البداية ، الى « من يصنع الرئيس » ؟

إن أتعس ما يواجه لبنان اليوم أنه لا يعرف الى أين هو ذاهب والى أين يذهبون به . يعرف فقط أن رقبته لا تزال معلقة بحبل الحرب المجهولة النهاية .

والناس أيضاً تعساء . تعساء لأنهم فقدوا حتى المرجع الذي يتلقى الشكوى . فلا أحد لأحد . ولا مسؤول . ولا وازع . ولا ضمير . ولا حوار سوى حوار الرصاص والنار . والناس تعساء لأنهم اكتشفوا مرة أخرى أن الآلة الجهنمية عائدة وفاتحة شدقيها لابتلاع المزيد من الأبرياء .

ومع ذلك ما زالوا يتحدّثون عن الشرعية والبديل . وناس ذاهبون الى الحرب وناس ذاهبون الى اليأس وناس ذاهبون الى حرب أخرى قد تكون هي حرب الحرب إذا جاز التعبير . أي حرب رئاسة الجمهورية ، بل رئيس الجمهورية . . . المقبل .

فمن تراه يكون هذا الرئيس ، وماذا عساه يفعل اذا استطاع أن يصل واذا بقي من الجمهورية ما يستحق أن تعلن حرب الرئاسات من أجله ؟

كان يمكن أن يكون همّ اللبنانيين اليوم هو معرفة هذا البديل ومواصفاته وبرامجه وأفكاره ، وماذا لهم عنده عن المستقبل والأحلام الصغيرة والعدالة والأمان . لكن الهم الحقيقي الذي افترس طموح اللبنانيين وحوّلهم الى كائنات مشوهة تنشد الخلاص من آلة القتل ، تقلّص وتضاءل الى حجم رئيس برتبة حارس أمن . وحارس أمن فقط .

والمرشحون ، الساطعون في واجهة اللائحة الآن ، لم يكذبوا خبراً . ولم يكونوا الا عند حسن الظن بهم ، أي كما عودونا . استغلوا الجو وشمعوا الخيط وشمعوا أفواههم . الى حد التردد في القول أنهم مرشحون . بل الى حد التهرب من الادلاء بأي كلمة ضد المجزرة التي راحت ثم جاءت ثم راحت ثم ها هي تجيء . . . في خضم الحديث عن معركة البديل .

فكيف نطالب هؤلاء بأن يحدثونا عن برامجهم وأفكارهم وتطلعاتهم ؟

مرشحون فقط .

ومرشحون على أساس أن لا موقف لهم . ليسوا مع أو ضد . لا في الماضي ولا

في الحاضر . لا في الحرب ولا في السلم . وفي ظنهم أن حكمة « الصمت زين والسكوت سلامة » هي التي تؤمّن الطريق السالكة الى رئاسة الجمهورية في لبنان . وربما كانوا على حق في صمتهم وفي « البرنامج الرئاسي » الذي يعدّونه لأنفسهم .

الآخرون آخرون . مجرد أسماء تصلح ، من حيث الانتماء الطائفي ، لتكون بازاراً من بازارات التسوية .

تقليديّاً ، عوّدنا المرشحون لرئاسة الجمهورية الا يتكلموا والا يقولوا شيئاً عن ترشيحهم مهما بالغنا في مطالبتنا لهم بالكلام .

ولماذا تراهم يتكلمون ؟

ثم متى قبل اليوم تكلموا ؟

وأي مرشح لرئاسة الجمهورية في لبنان سبق له أن تجرأ على إعلان ترشيحه ، ولو من دون أن يعلن مع الترشيح برنامجاً إصلاحياً يريد تطبيقه ؟

فهل نطلب من الذين يرفضون الكلام حتى في أيام السلم أن يتكلموا وأيامنا أيام حرب ؟

السياسة على الطريقة اللبنانية هذه هي ، هكذا حالها : اصطياد المناسبات . عند تغيير العهود أحفظ رأسك واحفظ كرسيك . الاختباء وراء الصمت حتى عندما يكون الكلام من ذهب ويكون السكوت مثل الجريمة .

وانطلاقاً من هذا « المبدأ » ، مرشحو الصمت معهم حق . فهكذا تؤكل كتف رئاسة الجمهورية . فلماذا نستدرجهم الى التورّط في استنكار جريمة اغتيال الوطن ، وقد يؤدي الاستنكار الى تصنيفهم بين الانفعاليين والمتسرّعين والذين ضد أنفسهم وضد مصلحتهم ؟

أخيراً ، هذا الكتاب همّه واحد ، همه أوحد ، وهو أن يشرح للمواطن العادي ما يعرفه هذا المواطن وما يتهرّب من الاعتراف به أمام نفسه .

. . . فالى الاعتراف .

من المفوضيات الى السفارات



السفراء : مع سبيرس ممثل بريطانيا ورياض الصلح (فوق) . مع سولود ممثل الاتحاد السوفياتي (الوسط) . مع وودسورث ممثل أميركا (تحت) . (الصورة من ملف النهار)

يروي سياسي بارز ومرشح جدّي لرئاسة الجمهورية انه زار يوماً الرئيس الراحل فؤاد شهاب في محاولة أخيرة لاقناعه بالموافقة على التجديد ، فأجابه شهاب : روحوا انتخبوا الاستاذ شارل حلو .

ولما استفسر السياسي المرشح لماذا شارل حلو وليس عبد العزيز شهاب ، مثلاً ، او الياس سركيس الذي كان قد « عُيِّنَ » ولياً للعهد ، أجابه الرئيس اللواء : اسأل روما والأم الحنون .

كان ذلك في العام 1964 ، مطلع الصيف ، وبعد مضي واحد وعشرين سنة على نيل لبنان الاستقلال التام الناجز .

قبل هذا التاريخ بست سنوات لم يطرح أحد سؤالاً على أحد ، بالنسبة الى خليفة الرئيس كميل شمعون . فقد وصل المبعوث الأميركي روبرت مورفي وحسم قول كل خطيب : سمَّى اللواء الأمير فؤاد شهاب ، ووافق الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

ولم يلغ هذا الواقع او يؤثِّر في مجراه المرسوم كون العميد ريمون اده ترشَّح ضد الرئيس شهاب « لكي لا يقال ان الأسطول السادس الواقف على أمتار من مجلس النواب انتخب رئيس الجمهورية اللبنانية ، ولم يقل نائب كلمة » . وما كتب قد كتب وتمت مشيئة المبعوث السامي .

هذا الفصل من كتاب من « يضع الرئيس » ، نشر في ملف أصدرته « النهار » في 25 نيسان 1970 ضمن سلسلة « لبنان 1970 » . وكان قد نُشر مُلخَّصاً وموسَّعاً ، كما بقية الملفات ـ الفصول ، في العدد الخاص الذي ختمت به « النهار » العام 1969 ، عام الهياج السياسي ضد « النهج » والمكتب الثاني ، واستهلت به معركة رئاسة الجمهورية ، تلك التي انتهت بانتخاب الرئيس سليمان فرنجيه .

سنة الاختيار الصعب

من المرشحين للرئاسة ، ولو لم يكتمل عقدهم بعد ، الى الرئاسة وصناعة الرؤ ساء والسؤال الكبير الذي يطل خجولاً ، مرة كل ست سنوات ، استراحة تشبه استراحة المحارب . ثم عرض تاريخي لسبع وعشرين سنة من الاستقلال ، وسبع عشرة سنة من الانتداب والمفوضين والمفوضيات . ثم عودة الى المرشحين ، ولو استحوا .

قبل أن تحل سنة السبعين ، ويعيِّد الناس ، ويرقصوا حتى الفجر ، كان بعض اللبنانيين يخاف ألا نصل الى 1970 الا وقد تغيَّر كل شيء ووقع المقدَّر والمكتوب . . . فتكون 1969 آخر سني لبنان ، لبنان رئاسات الجمهورية المنتخبة ، اللبنان الذي أصبح الفريد من نوعه في العالم العربي ومعظم « العالم الثالث » .

لماذا الخوف من سنة السبعين ؟ .

لأنها سنة الاختيار الصعب ، سنة الرئاسة الخامسة ، بل الجمهورية الخامسة .

ولأن اللبنانيين كانت قلوبهم تقفز من صدورهم عندما يعودون بالذاكرة الى سنة 1958 والسنوات التي تلتها ، خصوصاً سنة التجديد الذي لم يتم فصولاً .

ولأن عناصر تخويف جديدة دخلت في صميم اللعبة السياسية ، فكبَّرت دور الخوف ، واقحمت نفسها ، ربما غصباً عنها ، في الصراع حول الجمهورية الخامسة ورئيس الفرصة الاخيرة .

ولأن السؤ ال الذي طرح نفسه وفرضها فرضاً بعد سنة 1958 ، ازداد حجمه ورسوخه وأصبح هذا السؤال الابرز في كل المناسبات ، وهو : هل يظل لبنان الجمهورية جمهورية بالفعل ، أم يصبح لبنان دولة أخرى من دول العالم الثالث ، دول الانقلابات و « العسكريتاريا » ، يميزه عنها كونه ينتخب العسكر لحكمه انتخاباً .

أما وقد مر الشهر الثالث وبعض الشهر الرابع من سنة السبعين ، ولا يزال لبنان الجمهورية جمهورية ولو بصراع مرير وازدواجية لم يعرف حكم في العالم مثيلاً لها ، فإن

الأمل الصغير الذي لم يكن يجرؤ على مواجهة الخوف أخذ يواجه الخوف ويمتصه لكن بكثير من الحذر .

يبقى الايضاح الآخر عن « فلسفة » العرض التاريخي ، أي عن النظرية المستخلصة من كيفية انتخاب رؤ ساء الجمهورية ، والتي يمكن ايجازها بالنقاط الخمس الآتية :

أولاً : ان اختيار رئيس الجمهورية يتم قبل ان ينتخبه النواب . يهبط الوحي ويروح يطوف على اصحاب العلاقة كل بدوره . حتى اذا تمت عملية الاختيار واكمل الوحي جولته ، كانت عملية الانتخاب شكلية لا أكثر ولا أقل .

ثانياً : ان الاختيار وليد عناصر عدة ، أقلها شأناً ، بالاختبار ، اتجاهات الاكثرية النيابية وآراؤها وارتباطاتها .

ثالثاً : ان المرشح المختار يجري اختياره تبعاً لصورته ، صورته في الرأي العام ، وصورته في المحافل العربية والدولية ، ثم صورته في مجالس الحكم وحلقاته ، ومنها مجلس النواب .

رابعاً : ان الاختيار يتم بالتشاور بين مسؤولين مرئيين ومسؤولين غير مرئيين ، وبين غير مسؤولين مرئيين وغير مرئيين كذلك . وهذا التشاور لا نظام له بالطبع ، ولا دستور ، الا ان له قاعدة واحدة هي ان يجيء ناجحاً .

خامساً : ان ضابط المشاورة الكبير هو الرأي العام ، أي الاتجاه الغالب في البلد ، بحيث يتعذر على المتشاورين أياً كانوا ، وعلى النواب كذلك ، فرض رئيس على البلد يرفضه الرأي العام . بل على العكس ، يمكن القول ان الغاية من المشاورة كانت دائماً استقراء الارادة العامة وتوفير وسائل تجاوب المجلس معها .

وماذا بعد ؟ .

ثم فن اسمه اليوم « صناعة الرؤ ساء » ، تمارسه في بعض البلدان الديموقراطية الأحزاب التي ترشح وفي بعضها الآخر « الماكينات » الواقفة خلف الأحزاب ، او على هامشها .

وفي نطاق بريق هذا الفن نعود الى السؤال المنتظر عرض الجواب عنه في هذا « الملف » من سلسلة « لبنان 1970 » : من يصنع رئيس الجمهورية في لبنان ؟ .

للوهلة الأولى يبدو السؤال كأنه خارج عن الموضوع وخارج عن اللعبة وخارج عن

الأصول ، بل يبدو كأنه خارج على القانون . يصدم ، ويضع المواطن العادي في مواجهة احتمالين احدهما رفض السؤال برمته ، وثانيهما رفض الاجابة عنه .

لكن هل يعني الرفض ، وهو في براءته محق ، ان السؤال لم يعد وارداً ؟ .

ثم هل يكفي ان نرفض السؤال والاجابة عنه كي تكون الحالة التي اوجبت طرحه غير قائمة ، وتنتفي الأهمية التي له ؟ .

السؤ ال يصدم ، هذا صحيح .

الا ان الصحيح أيضاً ، والصحيح جداً ، هو أن الرئيس في لبنان لا يزال يصنع صناعة ويرسل مع اطيب التمنيات . . . الى ساحة النجمة من غير ان يمر بمصلحة الجمارك لتستوفي عنه الرسوم القانونية .

السؤ ال يصدم بالفعل .

لكنه بقدر ما يصدم ، تكون الصدمة قوية وشاملة لعقل المواطن اللبناني ولنفسه ، وبقدر ما يهز الصور الجميلة الملونة المعلقة على الجدران ضمن اطارات مفضضة او مذهبة ، تتضاءل الحاجة الى « قطع التبديل » التي نستعين بها او تفرض علينا يوم الانتخاب .

قال من يصنع الرئيس . . . قال .

الجواب البسيط الذي يتصوره كل منا والجاهز لدى كل منا ، له علاقة وطيدة بالعنفوان والفروسية و . . . الطهارة .

مثلاً ؟ .

اذا طرح السؤال في ساحة عامة في قرية نائية أو غير نائية ، يكون الجواب الذي يسمعه السائل من جميع الافواه أن الرئيس لا يصنع . لا يصنع لأنه ليس آلة ، ليس سيارة ولا جراراً ولا طاولة ولا خزانة . الرئيس شخص . الرئيس صفات بشرية . الرئيس ميزات وكفاءات وتجربة طويلة وخبرة . . . والنواب هم الذين « يصنعون » اذا كانت هناك صناعة ، واذا كان لا بد من استعمال الكلمة المرفوضة في الاساس والجوهر .

كيف ؟ .

يأتي النواب . يتشاورون ، يراجعون ، يدرسون ، يقارنون بين زيد من المرشحين وعمرهم ، يترددون في الاختيار . ثم يضع كل منهم الاسم الذي يراه مناسباً في

قبعة . وهكذا يتم اختيار الذي سيكون رئيساً على لبنان ، شعباً ومصيراً وطموحاً ومجداً ، والذي ستكون بين يديه ووفق ارادته جميع المقدرات طول ست سنوات .

عمر ، الست سنوات في حساب الزمن وحساب الذين يتسابقون مع العصر ، الا ان اللبنانيين حتى الآن ، كانوا يكتفون بعدِّ هذا العمر على الأصابع ولا يصدقون كيف تنتهي السنوات الست ليبدأوا من جديد مع الولاية الجديدة العد على الاصابع .

حسبنا نحن أن نحلم برئيس للجمهورية اللبنانية الخامسة (بعد جمهورية بشارة الخوري ، وجمهورية كميل شمعون ، وجمهورية فؤاد شهاب ، وجمهورية شارل حلو) يكون غير هؤلاء جميعاً ، ويكون انتخابه انتخاباً . . . لا صناعة .

من يصنع الرئيس

من شارل الأول الى شارل الثاني مسافة عمر : 44 سنة . ليست كلمة . مشوار طويل مليء بالمفاجآت والمتاعب في تاريخ لبنان . لبنان الانتداب ولبنان ما بعد الانتداب .

ومن المفوضيات الى السفارات . أي من المفوض السامي الى السفير السامي . انما المسافة نفسها والمشوار نفسه . تغيرت بعض الوجوه وغابت أسماء وبرزت اسماء ، انما لم يتغير حرف واحد من قاموس « صناعة الرؤ ساء في لبنان » .

ومن استقلال الدولة الى دولة الاستقلال ، فدولة العدالة الاجتماعية ، ثم دولة الازدواجية ، زادت الشعارات الوطنية وزاد عدد المزايدين ، وزاد عدد السفارات والسفراء ، لكن بقيت « صناعة الرؤساء» صناعة يشرف عليها اختصاصيون مرئيون وغير مرئيين .

لم يتغير شيء ، منذ تلك الأيام ؟ .

شهود سبعة سيروون في هذا العرض كيف « كانوا » يصنعون رؤ ساء جمهورية لبنان قبل الاستقلال ، وكيف لا « يزالون » يصنعون رؤ ساء جمهورية لبنان بعد الاستقلال :

السؤال تكراراً : من يصنع الرئيس في لبنان ؟ .

استغرب السيد موسى مبارك السؤال . ثم زالت آثار الدهشة عن وجهه ، ثم عاد

الى الذاكرة . ضحك : « الشغلة ليست هينة . فرنساوية وانكليز واميركان . شغلة طويلة عريضة » . والنواب ؟ .

يجيب الرجل الذي رافق السياسة اللبنانية ، من داخل ، قبل الاستقلال وبعده : « النواب ؟ يرفعون الاصابع . في معارك رئاسة الجمهورية لا مجال للاجتهاد الشخصي بين النواب . الآراء تتغير كل نصف ساعة . والتقديرات تتبخر دفعة واحدة كما تتبخر احلام الذين يحلمون بكرسي الرئاسة . قبل 1952 ، كميل شمعون نام مرتين رئيساً للجمهورية . لكنه صحا في المرتين ليجد انه لا يزال كميل شمعون من دون « صاحب الفخامة » . حميد فرنجية أيضاً . واميل اده وبشارة الخوري قبلهما . لعبة جهنمية . يضحك جيداً فيها من يضحك أخيراً . وكلمة السر لا تأتي الا مع الصباح » .

لعبة ؟ قد تكون لعبة الرئاسة من أطرف ما تعرضه مساحة العشرة آلاف كيلومتر مربع . ونادراً ما كانت تنافساً منصفاً على ملعب مضيء الجوانب بين فرقاء يشرف على مباراتهم حكم حيادي .

الانكليز والفرنسوية

كنا صغاراً . وكان عمر الاستقلال صغيراً . كنا نسمعهم يقولون داخل الغرف المقفلة النوافذ : « الانكليز مع ابن الخوري والفرنساوية مع اده » . نسمعهم ولا نفهم شيئاً . لغز . واذا فتحت النوافذ نهرع مع الكرة المخططة بالأبيض والأسود . نقذفها ونتابع اللعب بعيداً عن الغرف التي تقال داخلها أشياء لا نفهمها .

وعندما كبرنا وكبر عمر الاستقلال وكبرت الضجة حول « دولة الاستقلال » و « استقلال الدولة » عدنا نسمعهم يقولون داخل غرف مشروعة النوافذ والأبواب : « الانكليز مع ابن شمعون والاميركان مع ابن شهاب » . هذه المرة لم تكن الكرة المخططة بين ايدينا . كانت سقطت في ساحة الطفولة ، ليحل محلها سؤال غير ساذج بمساحة العشرة آلاف كيلومتر مربع : كيف تصنع انتخابات رئاسة الجمهورية ؟ واستطراداً - كما يقول محامو الجزاء - من يصنع الرؤساء في لبنان ؟ .

من يأتي بالرئيس وكيف وعلى اي أساس ، ومن يفسد أحلام الذين ينامون رؤساء ، ولماذا ؟ .

يقول السيد كمال جنبلاط ، في فورة اعتزاز ونشوة : « نحن الذين يصنعون

الرؤساء ونحن الذين يسقطونهم . وقد أسقطنا أكثر من رئيس وجئنا بمن نريد » .

ويدفع الكرسي الهزاز الذي يرتاح الى الجلوس عليه ، ليبقى السؤال الذي عمره 43 سنة يتنقل على أفواه الناس ويتردد بالحاح في كل سنة أخيرة من عهد كل رئيس .

يكبر السؤال ويتداعى ليستحيل هاجساً عند الناس الذين لا يصدقون ان الرؤساء في لبنان يصنعون صناعة بل ينتخبون انتخاباً .

الذين من داخل يضحكون في عبهم . موسى مبارك واحد من الذين يضحكون عالياً : « كان الصراع بين الانكليز والفرنسيين ، فأصبح بين الانكليز والانكليزيين ، ثم دخل الاميركيون طرفاً مباشراً في لعبة الرئاسة ، فصارت القضية محصورة بين الأميركان من جهة والاميركيين من جهة اخرى . بالطبع كان هناك الذين يحرقون أصابعهم شموعاً لكسب العطف . وعددهم لا يزال كبيراً » .

سألت السيد مبارك : كيف يتدخل المتدخلون ؟ ماذا يفعلون ؟ كيف يسحرون النواب ويتغير كل شيء بلحظة ؟

قال : « العادة لها دورها . اعتاد الشباب ان يحرصوا على معرفة رأي المفوض السامي . وهذه العادة لا تزال تتحكم بهم . من أيام الانتداب الى اليوم لم يتغير شيء على هذا الصعيد . النواب يرفعون أصابعهم . يوافقون . كان هناك مفوضون سامون ومندوبون ، واليوم ، هناك سفراء وقائمون بالأعمال » .

بدنا الدباس

وكأن أحداً استفزه فتوقف موسى مبارك عن الكلام . وقف . تمشى قليلاً . قفز الى مكتبه . ضحك وقال : « اسمع هذه القصة . سنة 1926 كان اميل اده مرشحاً للرئاسة . وكان ناجحاً . هنأوه . جاء الوجهاء والنواب والذين لهم في كل عرس قرص الى منزله وشربوا نخبه . كان موعد الجلسة يوم الخميس . اذكر ذلك اليوم جيداً . صباح الثلاثاء دعيت الى تناول طعام الفطور الى مائدة مندوب المفوض السامي في لبنان - وكنت آنذاك في الدائرة السياسية في المفوضية . وجدت هناك السيد سوشييه رئيس قلم السياسة ، والسيد دي جوفينيل .

سألتهم : خير ان شاء الله ؟ . قالوا بصوت واحد : عليك مهمة سريعة .

سألت بدهشة : هل غيرتم رأيكم ؟ .

قال مندوب المفوض : المرشح للرئاسة هو شارل دباس وليس اميل اده . والرئيس يجب ان يكون الدباس . سألت ، وأنا لا أصدق ما أسمع : الاكثرية مع اميل اده ، كيف تعملون هكذا ؟ .

قالوا : وجدنا أن المعركة ستترك ذيولاً بين الموارنة وستعمل حزازات خطيرة . الأفضل ان يكون الرئيس روم ارثوذكس . . . ما رأيك في الدباس ؟ .

قلت : مش ممكن . شارل دباس أعرفه جيداً . انه مدير عدلية ، والمنصب يحتاج الى مراس من نوع آخر . هذا غير معقول .

قالوا : بدنا شارل دباس . هذا قرار . يجب ان تزور النواب وتقول لهم ان المرشح للرئاسة هو الدباس . المهلة قصيرة والاكثرية واقفة مع اميل اده » .

ويضحك موسى مبارك : « تصدق ؟ خلال 24 ساعة انتقلت الاكثرية الساحقة التي كانت الى جانب اميل اده ، وانتخب شارل دباس بما يشبه الاجماع . رفعوا اصابعهم » .

المقدم ، عسيران والفضل

وفي متابعة عرض شريط الذكريات يتوقف الانسان عند صور نافرة منه . يتوقف ويكاد يتمسك بالمشاهد ويهتف بالأشخاص ويسأل ولا يسأل . تبدو الصورة كأنها ابنة الأمس ، وكأنها صور الغد . ساخرة . ساطعة . واضحة . مليئة بالرموز والاجوبة .

ومع مسيرة التنقل بين الخاطر والذاكرة يروي موسى مبارك كيف انقلبت الآية في العام 1932 ، وكيف ان الذين « شلّحوا » اميل اده الاكثرية واعطوها شارل دباس عادوا فأعطوا اده اكثرية « شلّحوها » للشيخ بشارة الخوري :

« قبل عشرين ثلاثين يوماً من موعد الانتخابات الجديدة ، كان الناس يتحدثون عن « الرئيس بشارة الخوري » . الاكثرية معه . وجلوسه على الكرسي لم يعد يحول دونه سوى موعد الانتخاب . حتى ان الكونت دو مارتيل كان يقول « هذه المرة للشيخ » .

الا انه لسبب من الاسباب غيّر الكونت رأيه .

في منتصف احدى الليالي جاء من يقول لي : الكونت يريدك الآن . كنت نائماً ،

ارتديت ثيابي دون ان يخطر لي اي تساؤل حول سبب دعوتي في هذه الساعة المتأخرة . وفجأة لمع في ذهني شيء . قلت بيني وبين نفسي : راحت عابشارة الخوري . لم يكن هناك أي دليل على أن الفرنسيين سيغيرون رأيهم . . . لكنهم غيروه .

عندما وصلت كان الكونت مرتدياً ثيابه الرسمية . قال لي : كيف نتصل براشد المقدم ونجيب عسيران وفضل الفضل ؟ .

سألته : الليلة ؟

قال : قبل طلوع الضوء .

قلت : لا اعرف .

قال : انت تتصل بهم .

سألته : لماذا العجلة ؟ .

أجاب مبتسماً : لأن الاستاذ اميل اده لا يحب الانتظار .

عندما فهمت ماذا يريد مني . فقلت له : لا استطيع القيام بهذه المهمة لأني مريض . والانتقال الى طرابلس قد يؤثر في صحتي .

الواقع اني كنت مريضاً . الا ان مرضي لم يحل دون سحب راشد المقدم وفضل الفضل ونجيب عسيران من جبهة الخوري الى جبهة اده . وعوض ان ينال الخوري 13 صوتاً وينال اده 12 صوتاً ، نال اده 13 ونال الخوري 12 .

بلمحة بصر . نائب يكون هنا فيصبح هناك . ومرشح للرئاسة ينام رئيساً فيصحو شخصاً عادياً .

قد يتراءى للبعض ان هذه الحالة التي كانت قبل الاستقلال زالت بعدما نال لبنان استقلاله .

ـ هل تغيرت الحالة ، سيد مبارك ، بعد الاستقلال ؟ بمعنى ، هل توقف المفوضون السامون ومندوبوهم عن ممارسة هواية صنع الرؤساء ؟ .

يضحك رجل الاسرار : (كبّر عقلك » .

الشيخ محمد الجسر

قبل الانتقال من مرحلة المفوضيات الى مرحلة السفارات ، لا بد من الاستماع الى

الشيخ خليل الخوري الذي يسلط الضوء على جانب مظلم من تلك الأيام يقول : « خوفاً من وصول الشيخ بشارة الى الرئاسة عام 1932 رشح المفوض السامي الشيخ محمد الجسر ضده . وكان الجسر رئيساً للمجلس . وبعد اعلان ترشيح الجسر استدعى المفوض السامي الشيخ بشارة وصارحه بتخوفه من امكان وصول الشيخ محمد الى الرئاسة وقال له ان هذا الأمر يثير قلقه لأنه يسلب الرئاسة من المسيحيين . . . فطمأنه الشيخ بشارة الى انه هو الذي سيفوز في الانتخاب ، ولو اقترع بعض المسلمين الى جانب الشيخ محمد ، وان تخوف المفوضية في غير موضعه . . .

الا ان المناورة الفرنسية كانت اطلقت صفاراتها بين الناس ومشى موكبها في الاحياء المسيحية . وبعد يومين ، اي في 9 ايار 1932 ، حل المفوض السامي المجلس وعلق الدستور ومدد ولاية شارل دباس الى اجل غير مسمى » .

ويضيف الشيخ خليل : « كان يؤيد الشيخ محمد الجسر كل من اميل اده ، حبيب باشا السعد ، جورج تابت ، روكز ابو ناصر ، يوسف الخازن وسامي كنعان » .

وبرغم هذه الحادثة يقول الشيخ خليل ان انتخابات رئاسة الجمهورية في لبنان هي نتيجة عناصر وعوامل عدة ، منها ما هو داخلي ، ومنها ما يعود الى الشخص المرشح . ومنها ما يتأثر بالاجواء الدولية . « ولا احد ينكر اهمية الجو العربي وضرورة ارتياح العرب الى الشخص الذي سيكون رئيساً للبنان » .

وعند الحديث عن « الجو العربي » يتندر المراقبون بانتماءات رؤساء ما بعد الاستقلال ، عربياً ، فيوزعونهم كما يأتي :

- بشارة الخوري : النحاس باشا وشكري القوتلي .
- كميل شمعون : نوري السعيد وأديب الشيشكلي .
- فؤاد شهاب : عبد الناصر .
- شارل حلو : عبد الناصر .

من المفوضيّات إلى السفارات

نعود الى صناعة الرؤساء .

سنة 1943 كانت سنة الثأر بين بشارة الخوري واميل اده . وكانت أيضاً معركة الثأر

بين الانكليز والفرنسيين . خصوصاً ان الانكليز كانوا وضعوا القط الفرنسي في صندوق حديدي وتركوه يموء دون ان يصل صوته الحاد الى سوريا ولبنان . كانت هناك الحرب وكانت باريس محتلة وكان صوت ديغول يلعلع من اذاعة أهدته إياها لندن . وكانت العاصمة البريطانية تحتوي « حكومة فرنسا الحرة » وتضمها وكانت بالتالي « عاصمة » لها .

وقبل معركة انتخابات الرئاسة كانت هناك معركة اخرى بدأت عنيفة وانتهت اشد عنفاً : معركة الانتخابات النيابية .

عن هذه المعركة يقول موسى مبارك : « سعى اميل اده مع كاترو لأن يكون رياض الصلح مرشحاً « على لائحتنا في الجنوب » . رفض كاترو . لم يتراجع اده . قال له كاترو . نحن لا نطمئن الى رياض الصلح . قد ينقلب علينا في المعركة الكبرى .

قال اده : رياض على مسؤوليتي وانا اكفله واضمن بقاءه الى جانبنا في انتخابات رئاسة الجمهورية .

وافق كاترو قائلاً : « الا انني غير مقتنع بانضباطية الصلح » .

في كل دائرة من الدوائر الانتخابية ، كانت تتنافس لائحتان : واحدة ادية وأخرى خورية . النتائج اعطت الاكثرية لجبهة الشيخ بشارة . انما المعركة يتقرر مصيرها في ضوء موقف اصوات نواب بيروت وطرابلس الذين حافظوا ، في النزاع الادي ـ الخوري ، على شيء من الاستقلال .

وبانتهاء الانتخابات النيابية ، وجدت البلاد نفسها في جو جديد : معركة رئاسة جمهورية ، دعوة الى الاستقلال ، عروبة ، تحرر وطني .

الا ان المعركة الحقيقية كانت بين الانكليز والفرنسيين : الانكليز يدعمون الشيخ بشارة بكل قواهم ، والفرنسيون ينشطون من اجل ايصال اميل اده .

وهنا يقول موسى مبارك : « كانت الانظار متجهة الى رياض الصلح . هل يبقى الى جانب اميل اده فيربح الفرنسيون المعركة ، ام ينقلب الى جانب بشارة الخوري ويربح الانكليز ؟ .

رياض الصلح ، وفاء منه لاده ، دخل المعركة الى جانبه برغم الضغوط التي تعرض لها من سوريا والعراق . الا انه لم يصمد حتى النهاية امام هذه الضغوط التي اشترك فيها

شكري القوتلي وسعدالله الجابري وجميل مردم ونوري السعيد ، الى جانب الالحاح الآتي من القاهرة مع تحيات النحاس باشا . فانسحب الصلح من معسكر اميل اده لينضم الى جبهة بشارة الخوري ، مع محاولة التوفيق بين الاثنين في سبيل الاجماع . . . وفاز الخوري وفرح الانكليز .

هل هذا كل شيء ؟ .

بالطبع هناك أسرار أخرى عن هذه المعركة يكشفها الرئيس صائب سلام على الشكل الآتي : « قبل الدخول في تفاصيل معركة 1943 يجب القاء نظرة على ماضي تلك الحقبة ، فنرى ان رؤساء الجمهورية في لبنان كانوا طوال 25 سنة اما يعينون بمرسوم من المفوض السامي او بما يسمى التعيين بالانتخاب . اي انتخابهم بواسطة النواب حسب مشيئة المفوض السامي . لذلك فان النواب الذين ينتخبون رئيس الجمهورية هذه الأيام ما زالوا عرضة للتأثيرات والتيارات الداخلية والخارجية » .

سألته : وماذا عن المعركة بين الخوري واده ؟ .

قال : « ان الصراع بين الكتلة الدستورية (الخوري) والكتلة الوطنية (اده) له قصة طويلة يلخصها التنافس الدائم بين اده والخوري على رئاسة الجمهورية » .

وعندما بدأت تباشير التحرر والاستقلال تلوح في أفق لبنان وجد بشارة الخوري السبيل المؤدي الى التفاهم مع المنادين بالتحرر داخل لبنان وفي الدول العربية المتمثلة اذ ذاك بمصر وزعامة النحاس باشا . ورحلة بشارة الخوري الى القاهرة ، قبيل الانتخابات ، برفقة جميل مردم ، شهيرة .

ويضيف سلام : « ولدى وصوله الى بيروت ، وقبل ان يذهب الى منزله ، زارنا الشيخ بشارة في الغدير ، وكان حديث طويل بحضور جميل مردم عن النحاس باشا ودعمه له واستعدادات الخوري على الصعيد العربي . وقد قام في اليوم التالي بزيارة الزعماء الوطنيين ونقل اليهم نتيجة محادثاته في القاهرة وطمأنهم الى نزعته الاستقلالية واتجاهه العربي . فوثق به الوطنيون ، وكانت ثقتنا في محلها » .

ويمضي الرئيس سلام متحدثاً :

في المقابل كان اميل اده ينزع الى الارتباط علنا بالفرنسيين والتنكر للعرب ، حتى كان ثمة من يتهمه بالميل الى اعلان لبنان مقاطعة فرنسية ، على نحو ما كان حاصلاً في الجزائر .

«وعندما احتدمت المعركة كان اصحاب الاتجاه التحرري والاستقلالي يقفون في صف بشارة الخوري ، بينما استمرت في تأييد اميل اده اقلية نيابية تخشى حركة التحرر وتخاف اذا ارتفعت الحماية الفرنسية عن لبنان ان يذيب المسلمون في لبنان ، بمؤازرة الدول العربية ، المسيحيين ، ويهدموا زعامتهم على الوطن . وبالطبع لم يبلع الاسلام المسيحيين ولم يذيبوهم .

ويمضي سلام قائلاً : كان يرافق الصراع الداخلي ونمو حركة التحرر صراع دولي بين الدولتين المنتصرتين في الحرب : بريطانيا وفرنسا . فبينما كان همّ بريطانيا منصباً على تقليم اظافر فرنسا في سوريا ولبنان واخراج نفوذها من المنطقة ، كان هم فرنسا منصرفاً الى البحث عن الوسائل التي تمكنها من ترسيخ سلطانها ونفوذها .

وهكذا ، كان من البديهي ان تتمسك بريطانيا بالشيخ بشارة ، وتتمسك فرنسا باميل اده .

الا ان طريق بريطانيا لم يكن مفروشاً بالرياحين . فالجذور الفرنسية كانت عميقة ، والذين في صف فرنسا يعرفون كيف يشتغلون . وخشي الجنرال سبيرز ، مندوب بريطانيا ، وصاحب الكلمة النافذة في ذلك الحين ، من أن يؤثر التنافس على خطة بريطانيا ، وراح يبذل محاولات سرية هدفها التوفيق بين اده والخوري وتطبيقهما للانسحاب وتحقيق الاجماع حول كميل شمعون .

يرضى القتيل . . .

في هذه الاثناء ، والمعركة محتدمة على كل صعيد وفي كل بيت ، اجتمع سبيرز برياض الصلح وعبد الحميد كرامي وعادل عسيران وصائب سلام وطلب منهم الموافقة على سحب الخوري واده وترشيح شمعون .

يصف سلام ذلك الاجتماع بأنه من أخطر الاجتماعات التي شهدتها بيروت في تلك المرحلة . كان الناس يسمعون أصواتنا عن الطريق . استمر النقاش ساعات طويلة . وافق الصلح وكرامي وعسيران . قالوا : طيب شمعون . رفضت أنا وأصررت على موقفي . لا أزال أذكر كلمة قالها لي رياض الصلح : أيرضى القتيل وليس يرضى القاتل ؟ اذا كان بشارة الخوري قبل ووافق فلماذا لا توافق أنت ؟ .

الواقع ان الخوري قبل عرض سبيرز . وقد أبلغنا موافقته في منزلي في المصيطبة

بحضور عبد الحميد كرامي وفريق كبير من النواب . قال لنا : كميل شمعون هو الرئيس .

وبعد لحظة كانت التهاني تنهال على شمعون من النواب أنفسهم الذين كانوا يؤيدون ، بل ويهنئون بشارة الخوري . ليلتها نام كميل شمعون رئيساً .

وفي اليوم التالي جاء شمعون الى منزلي ، وكان علم بموقفي وعدم موافقتي على ترشيحه . وبحث معي في الأمر . بعد قليل امتلأ البيت بالنواب الذين راحوا ينادون شمعون : « يا فخامة الرئيس » .

وفجأة جاء من أخبرنا أن اميل اده غيَّر موقفه ورفض الانسحاب من المعركة . وقيل ان بشارة الخوري وافق على الانسحاب ، ليظهر ولاءه لسبيرز ، ولأنه كان يعلم ان اده لن ينسحب مهما كانت الاسباب وكائناً من كان الذي يضغط عليه .

« بمنه تعالى »

وفي هذه الحال كان من الطبيعي ان يعود سبيرز الى التمسك ببشارة الخوري ويتابع معركته لتأمين فوزه ضد اميل اده .

ماذا حدث من بعد ؟ .

يقول الرئيس سلام : تنادينا الى الاجتماع في منزل الشيخ بشارة . بعد الاجتماع قررنا بالاجماع انتخابه رئيساً . قررنا وضع وثيقة بالاجتماع . فكلف عبد الحميد كرامي كتابة الوثيقة . يومها كادت الوثيقة تفسد الخطة وتتسبب في خسارة بشارة الخوري . فقد استهل كرامي الوثيقة بعبارة « بمنّه تعالى » . قامت قيامة المطران مبارك الذي هدد بالويل والثبور . . . ثم انتهت على سلامة وغيرنا العبارة .

وفي الجلسة نفسها اقترحت ان يتم الاتفاق ايضاً على رئاسة المجلس وأن يكون صبري حمادة هو المرشح بالاجماع - في حين كانت الرئاسة الثانية حتى ذلك الحين من نصيب الروم الارثوذكس وكان المرشح لها حبيب أبو شهلا . وقام الشيخ بشارة من مكانه وجاء يهمس في أذني ما لا أزال أذكره حرفياً : **ولو يا صائب بك ، بدك تحط رئاسة المجلس بمصاف رئاسة الجمهورية ؟ .**

قلت له : نتفق شفوياً لا خطياً .

والواقع اتفقنا ، خطياً ، على أن يكون بشارة الخوري رئيساً للجمهورية ، وشفوياً ، على أن يكون صبري حمادة رئيساً للمجلس . ولم نقرّب صوب رئاسة الحكومة لأنه كان من المعروف ان ثمة اتفاقاً ضمنياً بين بشارة الخوري ورياض الصلح على رئاسة الحكومة ، وان كان الخوري أنكر ذلك علناً وتكراراً ، مما حمل عمر بيهم وهنري فرعون ومجيد أرسلان وبعض النواب على ترشيحي لرئاسة الحكومة .

ويضيف سلام : « رفضت ، لأني كنت ادخل الحياة النيابية للمرة الأولى . وكنت لا اعرف نصف النواب ، وهنأني الشيخ بشارة وشكرني لرفضي رئاسة الحكومة . فقلت له : أكون مظلوماً اذا قبلت هذا المنصب لا اذا رفضته » .

اجتماع صوفر

نقطتان بقيتا غامضتين :

الأولى لماذا وافق اده على الانسحاب ولماذا تراجع .

والثانية لماذا اضطر رياض الصلح ان ينتقل الى معسكر بشارة الخوري .

بالنسبة الى موقف الصلح يقول السيد بيار اده ان والده اميل اده فرض رياض الصلح على لائحة الجنوب التي كان يترأسها احمد الأسعد . وقد حاول الصلح ، تخفيفاً للضغط العربي الذي تعرض له من كل صوب ، أن يقنع اميل اده بالموافقة على مشروع اتحاد عربي . رفض اده . الا ان الصلح بقي يحاول اقناعه وبقي مؤيداً له وكان آخر من انقلب الى جبهة بشارة الخوري .

غير أن السبب الرئيسي الذي جعل الدول العربية تضع ثقلها في كفة بشارة الخوري هو أبعد من قصة الاتحاد العربي . فرياض الصلح كان يقول للمقربين والأصدقاء : هل نقيم الفرنسيين لنقعد مكانهم الانكليز ؟ أنا لن أكون مع الفرنسيين ، لكني أيضاً لا يمكن أن أكون مع الانكليز . فهؤلاء اذا حلوا محل الفرنسيين ستكون معركتنا معهم أصعب لأنهم أقوى .

لذلك - يقول السيد تقي الدين الصلح - تحرك بشارة الخوري عربياً . كان لا يهدأ . زار مصر والعراق والسعودية . في مصر تم الاتفاق سراً على دعم الخوري ضد اده . ميشال شيحا وهنري فرعون يخططان والشيخ بشارة ينفذ ويعمل ويتصل . في مقابل

ذلك كله كان اميل اده منتهياً على الصعيد العربي ، فنشط رياض الصلح ليحسن رصيد اده العربي . وبعد اتصالات قام بها رياض خلال 24 ساعة متواصلة دون أن ينام ، عقد اجتماع في أوتيل صوفر ، رفع الصلح يديه اثر انتهائه وقال لاده : « لا تؤاخذني ! . . » وتغيرت مقاييس المعركة ورجحت كفة الخوري .

ماذا جرى في ذلك الاجتماع ، ومن حضره ؟ .

يقول تقي الدين الصلح : « حضر الاجتماع شكري القوتلي ، جميل مردم ، نوري السعيد ، جميل مدفعي ، تحسين قوادري (وزير العراق المفوض) ورياض الصلح واميل اده . استمر الاجتماع 5 ساعات ، حاول الصلح خلالها ان يعقد قران اميل اده مع « الجو العربي » ، لكنه لم يوفق . اذ أن اده بقي يحكي ويفاوض المجتمعين من خلال بريق فرنسا وتعلقه بها . لم تكن عنده فكرة عن « الجو العربي » . فرنسا فقط » .

ويقول تقي الدين الصلح ان رياض اختلى باميل اده خلوة طويلة اقتنع بعدها بأن اده لا يريد « ان اضيع صديقتنا فرنسا في سبيل بريطانيا » . . . فضاعت الفرصة من يده وانضم الصلح الى الخوريين وكان ما كان .

لا اده ولا الخوري

يبقى ، لماذا وافق اده على الانسحاب وكيف تراجع ؟ .

هذه النقطة يوضحها السيد بيار اده على النحو الآتي : قبل موعد انتخابات رئاسة الجمهورية بأسبوع زار الجنرال سبيرز اميل اده في منزله وقال له : اذا انتخبت رئيساً فان حكومة صاحب الجلالة لن تعترف بانتخابك ، كما أنها ستتحفظ لجهة اعترافها باستقلال لبنان في حال انجازه .

قال اميل اده : هناك اقتراح .
سأله سبيرز : ما هو ؟ .
قال اده : لا اده ولا الخوري .

وافق سبيرز وتعهد ان يأخذ على عاتقه مسؤولية اقناع الخوري بالانسحاب .

وبعد انصرافه من منزل اده اجتمع سبيرز مع بشارة الخوري ، بحضور هنري فرعون وميشال شيحا ، وقال له : اده موافق ، ما رأيك ؟ .

اجاب الخوري : وأنا أوافق .

وانصرف سبيرز لتبدأ قصة من نوع آخر . زار هنري فرعون اميل اده وقال له ان بشارة الخوري موافق على الانسحاب لمصلحة كميل شمعون . فأجابه اده : وانا أيضاً موافق .

عندئذ طلب فرعون من اده انسحابه خطياً يعلن فيه تأييده لكميل شمعون . استغرب اده وقال لفرعون :

أولاً ـ الاتفاق تم بيني وبين سبيرز .

ثانياً ـ لماذا لم تأت معك بانسحاب الشيخ بشارة خطياً ما دمت صاحب الاقتراح ؟ .

ويتابع بيار اده توضيح هذه النقطة فيقول : بعد ذلك قام الشيخ بشارة وهنري فرعون بزيارة المندوب الفرنسي جان هلّو . قالا له ان اميل اده يشتغل مع الانكليز من وراء ظهر الفرنسيين . وقد اجتمع بالجنرال سبيرز واتفق معه على الانسحاب لمصلحة كميل شمعون . وكان هلّو قد علم بزيارة سبيرز لاميل اده فطار صوابه .

أثر هذه الزيارة استدعى هلو اميل اده الى قصر الصنوبر وعاتبه كيف ينسحب لكميل شمعون دون ان يأخذ رأيه . وقبل ان يوضح اده الموقف قال هلو : نحن استدعيناك لنبلغك اننا قررنا أن نمشي مع بشارة الخوري .

على هذا كان لا بد لاميل اده ان يحاول الاخذ بالثأر . فأعلن رفضه الانسحاب وخاض المعركة . وبالطبع فاز بشارة الخوري .

دحرجة الرؤوس

هل في ذلك كله جواب أو ملامح جواب يمكن اللبناني العادي ان يرد به اذا سئل : من يصنع رئيس الجمهورية في لبنان ؟ .

قد تكون في العرض الآتي ملامح أخرى ، جديدة ، تساعد على تكوين الجواب .

أولاً نقلب الصفحة ونتابع التأمل في شريط الذكريات . نتجاوز مرحلة ما قبل التجديد للشيخ بشارة الخوري ، ثم نمر بصور ما بعد التجديد ، ثم نقف عند منعطف

التطورات في المنطقة العربية . نظرة عابرة على انقلاب مصر والاطاحة بفاروق ، ثم هذا العنوان في جريدة الدايلي تلغراف اللندنية : « تدحرج رأس فاروق . والرأس الذي سيليه هو رأس بشارة الخوري ؟ » .

هذا العنوان يفرض سؤ الاً : هل تخلى الانكليز عن بشارة الخوري ، وما هي الأسباب ؟ .

الواقع انه بعد تجديد الولاية للخوري أخذت التيارات السياسية تعصف من كل صوب . عمل الانكليز حساباتهم . راجعوها . لم يكن عصر الكومبيوتر قد بدأ . لم تكن نتيجة الحسابات في مصلحة الخوري .

ورافق عملية اعادة النظر الانكليزية ارتفاع في حرارة النقمة الداخلية . واخذت موجة الأحداث تهدر صوب اسوار القنطاري ، الى ان طلب الانكليز من الشيخ بشارة ان يوافق على « حلف البحر المتوسط » ، فوضع الشيخ أمام ويلين : ويله ان وافق تقوم ضده قيامة العرب ، وويله ان رفض تقوم ضده قيامة الانكليز .

يقول السيد تقي الدين الصلح ان بشارة الخوري لم يحقق كل اهداف الانكليز ، فذهب عهده بثورة بيضاء ليأتي بعده الذي كان سيكون قبله ، اي كميل شمعون .

كيف جاء شمعون ؟ .

الروايات عديدة . اما الذين رافقوا تلك المرحلة ، من قريب ، فانهم لا يعطون السؤال اية اهمية خاصة : جاء شمعون كما جاء الخوري وكما جاء اده وكما جاء الدباس . . .

أندروز : أيدوا شمعون

السيد موسى مبارك يتوسع قليلاً في تبسيط التفاصيل . يقول : « أكثرية النواب كانت مع حميد فرنجية . الا ان تدخل الانكليز ، خصوصاً السفير تشبمان أندروز ، وتأثيره على ميشال شيحا ، نقل الاكثرية من خانة فرنجية الى خانة كميل شمعون .

كان النواب المحمديون يؤ يدون شمعون الذي كان في ذلك الزمن « فتى العروبة الاغر » ، بينما كان النواب المسيحيون في صف حميد فرنجية . وخوفاً من حدوث انقسام

طائفي طلب أندروز من شيحا ان يذهب الى الشيخ بشارة ويطلب منه ان يمشي النواب الدستوريون مع شمعون : « رأي لندن ان توافقوا على شمعون » .

قام شيحا بالمهمة وحدث الانقلاب الأبيض الثاني . فبين ليلة وضحاها انقلب شارل حلو وموسى فريج وموسيس دير كالوستيان على حميد فرنجية ومشوا مع كميل شمعون .

ثم يسارع مبارك الى الاستدراك وكأنه نسي أهم ما في القصة : « أديب الشيشكلي هو الذي ضغط على نواب طرابلس وبيروت وطلب منهم تأييد شمعون » .

وهناك تفاصيل أخرى يتحدث الرئيس صائب سلام عنها : كان واضحاً ، عند سقوط بشارة الخوري ، ان المعركة ستحتدم بين شمعون وفرنجية ، فالأول تدعمه فئة كبيرة من النواب والرأي العام ، وكذلك الثاني .

مرة كنا في المجلس النيابي . جاء فرنجية وانتحى بي في غرفة اللجان . عاتبني . قال لي : ولو يا صائب لهون وصلت ؟ انت تمشي مع شمعون وتعرف من هو شمعون ؟ اذا انتصر ، من سيكلف تأليف الحكومة ؟ .

ويتابع سلام : « كنا نعرف ذلك ، الا ان الذي جدنا الى جانب شمعون هو عناد حميد . لقد اطلع بشارة الخوري خلاقنا من رياض الصلح . واذ بحميد فرنجية متمسك بتقي الدين الصلح وكاظم الصلح . كان المفروض ان نكون مع حميد فرنجية ، لكن . . . » .

على صعيد مشكلة بيت الصلح يقول تقي الدين الصلح :

« مشى اليافي وسلام مع شمعون كي لا يعود بيت الصلح الى السراي . حميد كان يعرف ذلك ، الا اننا كنا صديقين قديمين ولم نكن نولي هذه الناحية اهمية كبرى لأن التيار الاسلامي كان لمصلحة شمعون . الرأي العام يقول : شمعون عربي . والنواب يقولون : الانكليز مع شمعون . وهكذا تمكن شمعون من ضمان تأييد الانكليز والمسلمين . وهذان العنصران لم يتوافرا لحميد فرنجية » .

ولا ينسى تقي الدين الصلح ان يعطي العوامل الشخصية دوراً رئيسياً في معركة 1952 : « كان كميل شمعون لا ينام ولا يهدأ » .

الكلمة الفصل لبريطانيا

وفي طي صفحة المشكلة الصلحية تبــرز ناحية تساعــد على قراءة تلك الأيام المحمومة .

يقول الامير عبد العزيز شهاب : « قبل كل شيء ، رئاسة الجمهورية في لبنان لا يقررها النائب ، اي الناخب . لكن هذا لا يعني ان التأثيرات الخارجية هي الوحيدة التي تقرر في هذا الموضوع » .

سألته عن التأثيرات الخارجية ، قال : « بريطانيا كانت لها الكلمة الفصل حتى سنة 1952 عندما انتخب كميل شمعون رئيساً . في احدى الليالي اتصل حميد فرنجية بجميع مؤيديه واصدقائه وقال لهم : برغم معرفتي بأنني سأنجح لأن الأكثرية معي ، قررت الانسحاب من المعركة لأني ارفض ان اكون رئيساً للجمهورية عن المسيحيين وحدهم . . يومها كان كميل شمعون فتى العروبة » .

وفي تتابع سرد الذكريات والوقائع يقول الامير عبد العزيز : الذين كانوا يحاربون شمعون ، وعلى رأسهم ميشال شيحا ، عملوا ما لا يعمل كي يحولوا دون وصوله الى الرئاسة . ذهبوا الى فؤاد شهاب وألحوا عليه ان يرشح نفسه . قالوا له ان حميد فرنجية ينسحب له .

أجابهم : أنا رجل عسكري ولست سياسياً . اذا انسحب لي حميد فرنجية يبقى شخص آخر مرشح اسمه كميل شمعون .

سألوه : واذا انسحب شمعون ؟ .
قال : لا أعود أرى مانعاً .
بالطبع لم ينسحب شمعون .

« الحَق عا الطليَان »

عندما استقال الشيخ بشـارة ، طلع السيد مارون عرب ، الـذي كان المستشـار الشرقي في السفارة البريطانية ، الى عاليه وقابل الرئيس المستقيل ليوضح له موقف الانكليز

مما جرى ، فقال له : « نحن كنا الى جانبك يا فخامة الرئيس ولا تتصور ان لنا علاقة بكل ما حدث . انا بعدني لحد هلق مش عارف كيف انقلبت هالدني فوقاني تحتاني » .

أجابه الشيخ : « يا ابني يا مارون لا تعذب حالك وتحلف . . . انا بعرف انو الحق عاالطليان » .

هذه الحاشية وردت في لفتة من الشيخ خليل الخوري وهو يزيح الستار عن سر بقي خفيا حتى الآن . قال : « ليلة الاستقالة ، وقبل ساعة تقريباً من وضع كتاب الاستقالة ، بذلت جهات مهمة محاولة مع الشيخ بشارة لتأييد ترشيح شارل مالك لرئاسة الجمهورية . استمرت المحاولة ساعة واشترك فيها اكثر من شخص وجهة . رفض الشيخ وكان جوابه « ان الضرورة الوطنية ، خصوصاً في هذه الظروف ، تقضي بأن يكون رئيس الجمهورية مارونياً » .

قالوا له : مجيء شارل مالك يقطع الطريق على خصمك كميل شمعون . ثم ان شارل مالك أقرب الى الكثلكة منه الى الارثوذكس ، فضلاً عن انه سبق وتـولى رئاسـة الدولة اكثر من ارثوذكسي .

أصر الشيخ بشارة على موقفه وطلع الى غرفته حيث وضع كتاب الاستقالة .

« لهـذه المـرة . . . »

ويتولى بيار اده مهمة « توضيح الصورة » بتحديد المواقف والنقاط ثم القيام بجردة للحسابات التي طرحت في أكثر من حقل ، لكنها لم تطابق في معظمها الغلة في ساحة النجمة . قال :

« قبل استقالة بشارة الخوري بيوم او يومين ، وكانت استقالته منتظرة بـين لحظـة واخرى ، زرت حميد فرنجية في منزله . كان اتصل بي والح علي أن آتي اليه : « عندي شيء مهم اريد اطلاعك عليه » . كنا وحدنا في البيت . كان حميد متجهماً ومتضايقاً . تحدثنا قليلاً عن بشارة الخوري والاستقالة قبل ان ندخل في « صميم الموضوع » . عرضنا الأسماء والتيارات والذين من النواب مع الذين منهم ضد. ثم علت نبـرة حميد في لهجة عتاب : ولو يا بيار ، خلصنا من بشارة الخوري وعملنا المستحيل تانجيب كميل شمعون مطرحه ؟ لازم نرتب القضية . شمعون ؟ مطرحك يا واقف . . . » .

قلت له : هناك اولوية . اولاً يجب ان يطير بشارة الخوري . معركتنا بعد ذلك تصبح سهلة .

تركت حميد وهو غير مقتنع . كانت معركة شمعون بدأت قبل استقالة الخوري . وكان جماعة الخوري ينشطون في نشر الاشاعات والبيانات التي تتحدث عن « محاولة المعارضة القضاء على منصب رئاسة الجمهورية وغبن حقوق الموارنة في المنصب » .

عندما قويت الاشاعات ، في حملة التطويق التي رافقت هجوم الدستوريين المعاكس ، عقدنا اجتماعاً طارئاً في « الجبهة الاشتراكية الوطنية » التي كانت قيادة المعارضة وبحثنا في الهجوم المضاد ـ الذي يشنه الشيخ بشارة وجماعته . وضعت نص بيان يقول ان رئاسة الجمهورية هي منصب للموارنة ، واقترحت على رؤساء الوزراء السابقين ان يوقعوه رداً على الاشاعات الدستورية . وقعه سامي الصلح ، عبدالله اليافي ، صائب سلام ورشيد كرامي . وافق جنبلاط ، الذي كان حاضراً الاجتماع ، على البيان الا انه اقترح اضافة فقرة « . . . ان منصب رئاسة الجمهورية في لبنان هو للموارنة لهذه المرة » . اعترض المجتمعون وموقعو البيان على « . . . لهذه المرة » . فأذيع البيان من دونها .

« النبأ السار »

ويواصل بيار اده كلامه : « حميت الحديدة واعلنت « لجنة الأحزاب المؤتلفة » الاضراب . لحظات ويحدث ما يجب ان يحدث . لجنة الأحزاب ضمت : الكتلة الوطنية ، الحزب القومي الاجتماعي ، الهيئة الوطنية وحزب النداء القومي . الكتائب مشت في الاضراب دون ان تمشي . رجل في البور واخرى في الفلاحة . اذاعت الكتائب بياناً ، وقعه معها هنري فرعون ، بدعوة المضربين الى فتح البلد . لم يفتح البلد .

كل كل شيء قائماً قاعداً في تلك الفترة . اركان حرب فرنجية هما تقي الدين الصلح وعلي بزي . في الوقت نفسه هما مع فؤاد شهاب .

كنا مجتمعين في بيت الهيئة الوطنية عندما اخبرنا صديق ان الجيش سينزل الى الشارع ويفتح البلد بالقوة . تألفت لجنة لزيارة الجنرال شهاب ومطالبته بعدم انزال الجيش . ثم وضعنا عريضة تطالب رئيس المجلس ، الذي كان احمد الأسعد ، بدعوة الشيخ بشارة الى الاستقالة . ثم قامت اللجنة ، المؤلفة من بيار اده وتقي الدين الصلح وعلي بزي ، بزيارة الجنرال شهاب . ابلغناه ما كلفنا نقله اليه . قال : الجش مش معمول ضد اللبنانيين .

والمسألة سياسية ليست لنا علاقة بها .

عدنا من عند شهاب لنلتقي في مكاتب « النهار » في سوق الطويلة . كنا سنعقد اجتماعاً نقرر فيه الخطوة الحاسمة . وصل صديق للمعارضة وقال لنا : لا تناموا في منازلكم لقد صدرت مذكرات توقيف بحقكم ، والجيش مكلف القبض عليكم في الليل .

انفرط الاجتماع . انا وغسان تويني ذهبنا الى منزل كميل شمعون لنبلغه النبأ غير السار . كان نائماً . ريمون اده وكمال جنبلاط صعدا الى صوفر . الساعة الثانية صباحاً وصلنا النبأ السار : استقال بشارة الخوري .

وذهبت سدى المناشير التي كانت تحملها سيارة غسان بالدعوة الى استمرار الاضراب ، وكانت الشرطة قد ضبطتها واوقفت السائق والمرافق وحجزت السيارة وهمت بالمجيء الى « النهار » للتحقيق مع غسان .

نترك كميل شمعون وبيار اده وغسان تويني يفرحون بنبأ الاستقالة ونصعد الى صوفر لنسمع من ريمون اده قصة الساعات الأولى من تلك الليلة . قال : « أخذونا الى منزل في الضواحي. كنت احمل مسدساً. لم نجد بيجامات . نمنا بالثياب الداخلية . كمال جنبلاط على تخت وانا على تخت آخر . تحت كمال كان يحدث صوتاً كلما تحرك كمال . نمت . غفوت . لكن لفرط الهواجس والاخبار التي كانت تشتغل في رأسي تراءى لي وأنا نائم ان العساكر جاؤوا ليعتقلوني مع جنبلاط . صحوت فجأة والمسدس في يدي . لم تكن الكهرباء وصلت الى البيت . كان هناك قنديل كاز . في وهلة يقظتي من النوم شاهدت شبحاً فوق رأسي : صرخت به ارفع يديك ، فلم يتحرك . فركت عيني لارى كمال جنبلاط واقفاً على رجل واحدة ورافعاً يديه الى اعلى . صرخت به : يخرب بيتك كنت قوصتك . . . شو عامل بحالك ؟ .

ابتسم كمال وبقي واقفاً على رجل واحدة ورافعاً يديه الى اعلى . تركته وعدت لانام . طار النوم من عيني . وبقيت اتقلب الى ان وصلنا النبأ السار .

شهاب ، شهاب . . .

انتهت معركة لتبدأ معركة .

كميل شمعون قطع نصف الطريق بينما حميد فرنجية لا يزال متردداً . الا ان الذين مع فرنجية صمدوا معه ولم يتركه احد .

يروي بيار اده القصة الآتية : « معروف ان تقي الدين الصلح وعلي بزي هما « كروب » حميد فرنجية . في يوم جاءني الصلح وبزي وطلبا مني ان نمشي مع فؤاد شهاب . قلت : شهاب ما بدو . وليس في الأفق ما يشير الى انه يفكر في هذا الموضوع . في كل حال انا افضل ان يأتي الرئيس الجديد بالاجماع ، خصوصاً بعد الذي حدث . سأحكي مع شمعون واطلب منه ان يزور شهاب ويتفاهم معه .

قال الصلح : ما في مانع . ونحن كمان منحكي مع شهاب .

ويتابع اده : « زرت شمعون وقلت له : هناك اتجاه الى ترشيح فؤاد شهاب . في رأيي ان تزوره وتبحث معه في الأمر . تفاهم معه . شوف شو عنده » .

تردد شمعون . قبل من غير ان يقبل . الا انه بعدما ضمن اكثرية بين النواب وتأكد ان المعركة اصبحت لمصلحته ، قام بزيارة الجنرال شهاب في وزارة الدفاع وعرض عليه القصة . اجابه شهاب الذي كان يعرف بدوره ان شمعون سوكر الدق ، أنا رجل عسكري ولا أتدخل في السياسة .

ارتاح شمعون لجواب شهاب فتباسط معه في الحديث حول المستقبل والوضع في البلاد وقال له : اذا صرت رئيس جمهورية بدنا نتعاون سوا .

قال شهاب : اذا صرت رئيس جمهورية لي طلب عندك .
شمعون : ما هو ؟ .
شهاب : عفو عن الدنادشي .
شمعون : عفو وحبة مسك .

ويتابع بيار اده : في هذه الاثناء ، قيل ان محاولات اديب الشيشكلي مع نواب طرابلس وبعض نواب بيروت اعطت ثمارها فالتقى نواب العاصمة والعاصمة الثانية في منزل هنري فرعون وقرروا ترشيح كميل شمعون .

على اثر هذا الاجتماع دعا السيد يوسف سالم كميل شمعون وحميد فرنجية الى اجتماع في منزله بحضور عدد من النواب للاتفاق على صيغة معينة .

يقول السيد يوسف سالم : عندما التقى المتنافسان قال شمعون لفرنجية : الظاهر

يا حميد ان الاخوان فكروا بالشعر الأبيض . ومد شمعون يده على رأسه .

اجابه حميد فرنجية : الظاهر ان الحق معك .

كان شمعون قد ضمن اكثرية صوت او صوتين . قال سلام الذي اشترك في الاجتماع : لا يجوز ان ينتخب رئيس جمهورية لبنان بأكثرية صوتين . والكلمة لحميد بك الذي نعرف حرصه على كرامة هذا المنصب .

قال فرنجية : انا اريد ان يأتي رئيس الجمهورية برصيد ضخم وان تكون له سلطة قوية .

ثم نهض شمعون واقفاً وكذلك فرنجية فتعانقا وتبادلا التهاني .

وماذا كان دور الانكليز ؟ .

يجيب بيار اده : « الانكليز اشتركوا في المعركة على صعيدين . عربياً بواسطة الشيشكلي ونوري السعيد ، ومحلياً بواسطة مارون عرب الذي كان دائم الحضور في المجلس وبين النواب وفي كل اجتماع . كان لهم في كل عرس قرص » .

الأميركان خدعوا شمعون

انتخب كميل شمعون بالاجماع . وانتقل الى قصر بيت الدين ، حيث استقبل وفود المهنئين وتبادل معهم الخطابات والاحاديث . بقيت الوفود تأتي وتروح حتى العاشرة ليلاً . وكان الارهاق قد بدا على وجه الرئيس ، الا انه لم يكن بامكانه ان ينام لأن « الجبهة الاشتراكية الوطنية » كانت في انتظاره ، بصفتها المجموعة البرلمانية التي ينتمي اليها . . . سابقاً !

يقول بيار اده : « انصرف المهنئون وبقي اهل البيت . بالطبع لم يكن شمعون قادراً ان يهرب من طريق رفاقه في الجبهة برغم ان همومه كانت انتهت بانتخابه رئيساً وانتقاله الى قصر الامير بشير في بيت الدين . الا ان هموم كمال جنبلاط كانت بدأت في اليوم الأول لانتخاب شمعون » .

ماذا عدا مما بدا ؟ .

يروي بيار اده ما حصل تلك الليلة بين الرئيس الجديد وأهل البيت فيقول :

« اقفلنا الباب وعقدنا « اجتماع » مصارحة مع الرئيس شمعون . كان هناك اميل البستاني ، كمال جنبلاط ، غسان تويني ، انور الخطيب ، ديكران توسباط ، عبد الله الحاج وبيار اده . تكلم جنبلاط خطاباً بصفة كونه امين سر الجبهة الاشتراكية ، قال : الآن وصلنا الى الحكم وبات من الضروري تطبيق برنامج الجبهة الذي وضعناه معاً كأساس للحكم . ونأمل ان تتألف وزارتك الأولى من اعضاء الجبهة . نحن منتصرون ولا أرى سبباً للقيام بما هو غير ذلك .

رد شمعون على كلمة جنبلاط ومطالبه بهدوء باللهجة العامية . قال : بدنا نشوف شو صاير بالدني . صحيح وصلنا بس لازم تعطوني شوية وقت .

ولم يلاق جواب شمعون استحساناً لدى جنبلاط . كانت رجله مصابة بجرح . مد يده الى حيث الجرح وقال : رجلي عمتوجعني لازم نمشي .

قمنا ومشينا .

وعندما وصلنا الى بركة المياه في « قرص » دار بيت الدين ، توقف جنبلاط وانتحى بي جانباً . قال لي بالفرنسية : يظن الناس اننا قمنا بانقلاب . الواقع ان الانقلاب الذي قمنا به هو انقلاب ابيض بكل معنى الكلمة . واعتقد اننا سنجد انفسنا مضطرين الى اعادة الكرة والقيام بمثل ما قمنا به .

كان منرفزاً وكانت لهجته توحي بأن شهر العسل بينه وبين شمعون سيكون قصير الأجل . وهكذا كان . فلم يخب ظن رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي اذ انه اعاد الكرة ، انما عبر ثورة دموية .

معركة المسافات البعيدة

من بيت الدين الى المختارة كانت المسافة كافية ، على قصرها ، بالنسبة الى كمال جنبلاط ليطرح الاخماس من الاسداس ويعمل الحسابات ويفتح الدفاتر ، ثم يتخذ قراره بتحديد موقفه من عهد ابن دير القمر .

ثمة من يقول ان جنبلاط وعى فجأة حقيقة كانت غائبة عنه : كميل شمعون من الشوف أيضاً وانتخابه رئيساً نقل الزعامة الشوفية تلقائياً من المختارة الى دير القمر .

ثمة من يذهب الى أبعد من ذلك في الافتراض ، فيقول ان رئيس الحزب التقدمي

الاشتراكي ندم عندما « استحقها » وشاهد كميل شمعون رئيساً للجمهورية ، وشاهد من على سطح قصره في المختارة ، أنوار الاسهم النارية في سماء دير القمر ترتفع ابتهاجاً . . . وبدأ معركته ضد « ابن الدير » لحظة وضعت الحرب أوزارها بين الجبهة الاشتراكية وعهد بشارة الخوري .

الا ان الذين عاشوا معارك صناعة الرؤساء وانتخابات الرئاسة يشرعون الأبواب على مدى اوسع من نطاق الصراع بين المختارة ودير القمر .

بيار اده يقول ان المعركة انفتحت سنة 1957 : فجرتها الانتخابات النيابية التي جرت بوحي من معركة رئاسة الجمهورية ، يرافقها هاجس التجديد لكميل شمعون .

تقي الدين الصلح يقول : الاميركيون خدعوا شمعون . تظاهروا بتأييد التجديد ثم تراجعوا ثم سحبوا الخشبة من تحت كرسيه .

صائب سلام يقول : اتفقت اميركا مع مصر . ومصر لا تحب كميل شمعون . شارل مالك لعب دوراً خطيراً في لعبة التجديد وسحب الاخشاب .

يوسف سالم يقول : كان الاميركيون يساندون التجديد لشمعون ، الا انهم بعد انهيار الملكية في العراق اعادوا الدرس فوجدوا ان التجديد لم يعد ممكناً .

عبد العزيز شهاب يقول : التجديد لشمعون لم يكن ممكناً . المعركة بدأت بعد حرب السويس . سنة1957 تقرر كل شيء ووضعت الخطة . لم « تظبط » مع شمعون .

موسى مبارك ينقب في الذاكرة : « حصلت الحوادث . تطورت الى ثورة . ارسلت واشنطن روبرت مورفي مبعوثاً خاصاً الى لبنان للعمل على تهدئة الحالة واعادة الوضع الى طبيعته . كان التجديد اصبح في خبر كان وحل محله اسم يوسف حتي كمرشح للاميركان بدعم من القوة الثالثة التي كانت تضم يوسف سالم ، هنري فرعون ، بهيج تقي الدين ، غسان تويني ، محمد شقير ، جورج نقاش ويوسف حتي » .

قام مورفي بجولته على الزعماء اللبنانيين واجتمع ببعض رؤساء الأحزاب والكتل . وعندما زار بكركي واجتمع بالبطريرك الماروني طلب منه البطريرك ان يكون المرشح لرئاسة الجمهورية الشيخ بشارة الخوري . أجابه مورفي بالفرنسية : Il n'est pas question .

بعض الذين قابلهم مورفي وطرح عليهم اسم **فؤاد** شهاب رفضوا . قالوا انهم يتخوفون من فتح الطريق امام سابقة ووضع رجل عسكري على رأس البلاد .

لم يأخذ المبعوث الاميركي بهذا الرأي . اصر على ان يكون شهاب هو المرشح للرئاسة . وعندما اصطدم بعناد في موقف سامي الصلح وعبد الله اليافي ، وكميل شمعون أيضاً ، هدد بسحب قوات المارينز من لبنان قائلاً : « Débrouillez - vous » .

ويتابع مبارك : « ليس صحيحاً ان مهمة مورفي كانت سهلة . لقد واجه عقبات كثيرة . حاول في البدء ان يؤمن نوعاً من الاجماع حول الدكتور حتي . لم ينجح . رفض شمعون البحث في موضوعه . اقترح مورفي على شمعون ما اقترحه عليه البطريرك : بشارة الخوري . قال شمعون : لا يمكن .

قال مورفي : اذا ، لم يبق الا شهاب .

أخيراً وافق شمعون . فانتقل مورفي الى المصيطبة ثم الى المختارة واقنع كمال جنبلاط بتأييد شهاب . يقال ان جنبلاط كان يفضل ان يكون يوسف حتي المرشح والرئيس .

ويقول مبارك : « تحلحلت العقدة بالنسبة الى مورفي ، الا انها بقيت صعبة بالنسبة الى شمعون عندما حاول اقناع نوابه بانتخاب الجنرال رئيساً للجمهورية . ولولا اصوات نواب شمعون ، لما تمكن شهاب من الوصول الى الرئاسة بواسطة الانتخاب » .

يزيح الرئيس صائب سلام الستار عن سر آخر من أسرار معركة 1958 فيقول : « عقد اجتماع في واشنطن برئاسة ناظر الخارجية الاميركية دالس حضره وزير خارجية لبنان في ذلك الوقت الدكتور شارل مالك وسفير لبنان لدى واشنطن نديم دمشقية . طرح في الاجتماع موضوع لبنان والحوادث ومعركة التجديد » .

بعد انتهاء الاجتماع انتقل مالك ودمشقية الى السفارة اللبنانية ، فطلب مالك بيروت وتحدث هاتفياً مع شمعون . قال له : الاميركان ماشين . طمأنه . طار عقل نديم دمشقية عندما سمع مالك . لقد كان حاضراً الاجتماع وما قاله دالس يختلف تماماً عما قاله شارل مالك لكميل شمعون .

ولما عاتبه دمشقية كيف يحرِّف الأقوال ويقول ما لم يقل . اجابه مالك : هودي الاميركان انا بفهم بلغتهم اكثر منك .

تعجب دمشقية وقال لمالك : الحديث جرى بالانكليزية ولغتي الانكليزية مثل لغتك ومعرفتي بالاميركيين لا تقل عن معرفتك بهم . وما سمعناه معاً هو غير الذي سمعتك تقوله للرئيس شمعون .

ويواصل سلام نفض الغبار عن اوراق تلك المرحلة فيقول : عندما وصل نبأ الموافقة على فؤاد شهاب الى دمشق حيث كان بعض الزعماء اللبنانيين بكى صبري حمادة وقال : بكرا فؤاد شهاب بيجبلي فضل الله دندش وبيعملو رئيس مجلس .

في اليوم التالي وصلتني رسالة من دمشق ، بواسطة عبد الله اليافي ، موقعة من احمد الأسعد ، صبري حمادة ، رينه معوض ، شفيق مرتضى وكامل الأسعد ، يعلنون فيها عدم موافقتهم على ترشيح فؤاد شهاب . فأوفدت نسيم مجدلاني وهنري فرعون الى دمشق ليبلغا اصحاب الرسالة « ان صائب ما بيقبل غير هيك . وفؤاد شهاب هو الرئيس الجديد » .

كان جوابهم انهم لا يقبلون بمن تعاون مع كميل شمعون ، وفي حجتهم ان شهاب تعاون مع شمعون .

الا ان الذي كتب كان قد كتب ولم يعد ينفع البكاء وصرير الاسنان ، برغم المحاولات التي بذلها عبد الله اليافي معي لاقناعي بتأييد يوسف حتي . وعندما تأكد اليافي ان شهاب آت اتصل هاتفياً من دمشق بمدير الشرطة صلاح اللبابيدي وقال له : انا بدي سلم حالي تعوا عالشام واستلموني .

كان الرئيس اليافي في عداد المحكومين بالاعدام وقتها .

وصار الذي صار . وعاد الغائبون ليشتركوا في الانتخاب . قبل الذهاب الى الجلسة عقد اجتماع في منزل الرئيس سلام في المصيطبة حضره رينه معوض وتقي الدين الصلح وعلي بزي وشفيق مرتضى وفؤاد عمون وعبد الله اليافي وصبري حمادة وحسين العويني ولحود لحود واميل الخوري . وجرى الاتفاق في الاجتماع على انتخاب شهاب . صبري حمادة وحده بقي على موقفه : رفض . قال له الرئيس سلام : بدك تقبل وهذا هو الحل الوحيد .

ويتحدث سلام عن الاجتماع فيقول :

« أثناء الاجتماع اتصل بي البطريرك المعوشي وقال لي : لا يجوز انتخاب غير فؤاد شهاب . ثم اتصل بي الشيخ ميشال الخوري وقال لي : كلفني والدي ان اقول لك ان الحق معك . اليوم لا يصلح للرئاسة الا فؤاد شهاب » .

في آخر عنقود الذكريات بقيت حبة . امتدت اليها يد الرئيس سلام ، قال : « في الاجتماع الثاني بيني وبين مورفي قال لي المبعوث الاميركي : حسين العويني وعبد الله اليافي

رشحا يوسف حتي بوجود السفير مكلنتوك . يبدو انه ليس قد الحمل في هذه الظروف . ثم ان واشنطن ترى ان الجنرال شهاب هو الأفضل لأنه يؤمن نوعاً من الاجماع » .

من يبلف مَن

شيء آخر في ذكريات الذين رافقوا صناعة الرؤساء . في الفترة الأولى من حوادث 1958 قيل أن قضية التجديد للرئيس شمعون هي السبب . ثم قيل أن الرئيس الذي سيأتي هو السبب . ثم قيل ان الاميركان يثأرون للفرنسيين ويقلمون أظافر الانكليز هذه المرة .

يظن الذين كانوا من داخل أن لعبة بلف كانت قائمة قاعدة بين اثنين . فالرئيس شمعون كان يظن انه بلف الاميركان وضمن تأييدهم بواسطة شارل مالك وعبره ، وشارل مالك كان يظن انه بلف كميل شمعون بوجوده الى جانبه بينما كانت سكته لا تلتقي مع سكة شمعون .

الواقع ، يقول بيار اده ، ان نفوذ مالك كان قوياً : « كان يوحي بأنه وحده يحمل ختام الامبراطورية الاميركية . سفير اميركا كان ضد التجديد في المرحلة الأولى » .

ويتابع اده : « في اوائل ايار وصل الى بيروت مدير شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الفرنسية بيار سيبييو . تغديت معه في بحمدون . حكينا حول الأزمة اللبنانية . انتقلنا الى الحديث عن معركة رئاسة الجمهورية وقضية التجديد للرئيس شمعون . قال لي سيبييو : التجديد تقرر مساء امس في عشاء عند سفير فرنسا بحضور سفير بريطانيا وسفير اميركا » .

استغربت . روبيرت مكلنتوك ، سفير أميركا ، كان يدور على النواب والسياسيين ويقول لهم : شارل مالك ليس سفير اميركا بل انا مكلنتوك سفيرها .

بعد هذا الغداء بيومين التقيت السفير مكلنتوك . قلت له : بلغني انك وافقت على التجديد لشمعون . قال وقد بدا غير منشرح : حصل ضغط كبير يمتد من باكستان الى اليونان . والضغط كله لمصلحة التجديد .

وأضاف مكلنتوك : الضغط ليس من الانكليز والفرنسيين وحدهم . هناك بعض الدول العربية أيضاً .

في هذه الأثناء كان الحديث عن الجنرال شهاب اخذ يشق لنفسه طريق التداول بين الناس .

وهنا يوقف بيار اده شريط الصور الملونة . يفتح دفتراً صغيراً . يفتح نافذة على حادثة وقعت بين شمعون وشهاب سنة1955 . يومها لازم الجنرال شهاب منزله : « بعد يومين زرت الجنرال في عاليه ، كان يصيِّف هناك . وسألته عن القصة فشكا لي الرئيس شمعون وقال : اذا كان شمعون ما بيرتبط بكلامه انا برتبط بكلامي . لقد وعدت الدنادشة باستصدار عفو عنهم بناء على وعد شمعون لي قبل ان ينتخب رئيساً بساعات . حتى الآن لم ينفذ وعده واصبحت انا محرجاً مع الذين وعدتهم ! » .

بعد اجتماع طويل وافق الجنرال على الذهاب الى بيت الدين . وخلال وجودي في منزل الجنرال اتصل بي حميد فرنجية الذي كان في القصر وسألني عن الجو . قلت له ان الجنرال وافق . وصلنا الى بيت الدين وعقدنا اجتماعاً فورياً : شمعون وشهاب وفرنجية وأنا . تعاتب الرئيس والجنرال في الأمر . كانت حجة شمعون انه تأخر في اصدار العفو لأنه لا يملك نصاً يخوله العفو عن فارين . تدخلت انا وفرنجية ووضعنا فتوى حملنا فيها مجلس الوزراء مسؤولية المخالفة لأن مقتضيات الأمن توجب ذلك . وهكذا صدر العفو وعاد شهاب الى ممارسة مسؤولياته » .

ويعود اده الى حديث التجديد : « عندما اقترحت في مجلس الوزراء عام 1958 ، أن يعلن شمعون عدم رغبته في التجديد هب الوزراء كالدبابير . الا انه بعد اشتداد الضغط تقرر ان يصدر رئيس الحكومة ، سامي الصلح ، بياناً يقول فيه « ان الحكومة لم تقترح تعديل الدستور . . . » . لحقت به الى حيث كان يسجل البيان بصوته وقلت : يجب اضافة كلمة بحيث تصبح الجملة « ان الحكومة لم ولن تعدل الدستور . . . » .

« في هذه الأثناء اخذ التبدل يظهر على الموقف الاميركي . ثم حدث الهجوم على القصر الجمهوري خلال الثورة ، فطلبت الحكومة تدخل اميركا بموجب مشروع ايزنهاور . لكن هذا الطلب ، برغم تقديمه رسمياً الى مكلنتوك ، لم ينفذ الا بعد انقلاب العراق . ويبدو ان مكلنتوك فوجئ بوصول الاسطول السادس فطلب من الاميرال عدم انزال الجيش الى البر فأجابه اميرال الاسطول : أنا لا آخذ الأوامر منك . صدرت الأوامر من حيث يجب ان تصدر ونفذتها » .

قصة أخرى من ذكريات تلك الأيام :

في اواخر أيار اقترح اده على شمعون ان يكلف شهاب تشكيل الحكومة او ان يترأس الحكومة القائمة . تردد شمعون وطرح حججاً وأعذاراً كان آخرها ان المبادرة يجب ان تأتي من سامي الصلح . وافق الصلح . فاستدعى شمعون الجنرال وأطلعه على « رغبة الحكومة في الاستقالة » وكلفه تأليف الحكومة الجديدة . وافق الجنرال ، وبعد حديث قصير غادر القصر وعاد الى منزله . كانت الساعة الأولى بعد الظهر .

الساعة الثالثة والنصف صباحاً اتصل شهاب ببيار اده وقال له : « طلع حدسي في محله . صاحبك مش معقول . ما في ثقة ما في اخلاص . حبيت بلغك ان الذي اتفقنا عليه لم يعد وارداً . انس موضوع التكليف » .

ماذا حدث حتى نرفز الجنرال وأيقظ بيار اده من نومه في الثالثة والنصف صباحاً ؟

بعد عودة شهاب من القصر الجمهوري زاره شخصان يعرف أنهما من حاشية شمعون ونصحاه بألا يوافق على تأليف الحكومة والأفضل ان يختار هو رئيساً للوزارة . واقترحا اسم فوزي القاوقجي . فهم شهاب ان وراء هذه النصيحة شمعون نفسه . . فبطّل من تلقائه .

وعودة أخيرة الى مورفي . يقول بيار اده : « كانت المصيطبة هي محور اجتماعات المبعوث الاميركي . البحث كله محصور في نطاق صائب سلام لأن رشيد كرامي في طرابلس . واقترحت على مورفي ان يجتمع بكرامي . وافق . اتصلت بكرامي وعينا زمان الاجتماع ومكانه في منزل يوسف ضو في البترون . في ذلك الاجتماع ردد مورفي لكرامي ما كان يردده لسائر المعنيين بالأزمة .

سأل كرامي المبعوث الأميركي : هل تفاهمتم مع الرئيس عبد الناصر حول الموضوع ؟ .

قال مورفي : عبد الناصر يعتبر ان التفاهم ممكن اذا جاء شهاب رئيساً للجمهورية .

وهكذا انقلبت الدواسة وتحدد موعد انتخاب رئيس جديد للجمهورية كان الجميع يعرفون انه سيكون فؤاد شهاب .

. . . وهكذا ، برغم شغف ريمون اده بالديموقراطية والخوف عليها من أن تطير وترشيحه نفسه ضد الرئيس شهاب ، ولو للمبدأ ، وبرغم رفض سامي الصلح وكلوفيس الخازن وديكران توسباط وألبير مخيبر التصويت للجنرال ، وبرغم دموع صبري حمادة وقلقه

من أن يأتي فضل الله دندش ، وبرغم تصلب عبد الله اليافي واصراره على عدم وجوب فتح الطريق امام شهية العسكر ، وبرغم ان الأكثرية النيابية كانت مع التجديد لكميل شمعون ، فقد انتخب الجنرال وأصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية .

عدوى التجديد

قد يكون الرئيس شهاب هو اللبناني الوحيد الذي بدأ أصدقاؤه والذين وراءهم يمهدون للتجديد له قبل انقضاء السنة الأولى على انتخابه . ومع انه صاحب الكلمة المأثورة في هذا المجال فانه لم يبدر عنه ما يشير الى انه يرفض لعبة التجديد او انه سيقاومها .

فالعدوى التي انتقلت من بشارة الخوري الى كميل شمعون ، لم تجد مقاومة او مناعة عند العهد الشهابي . بل انها بكرت في طرق ابواب ذلك العهد وفرضت نفسها على المؤيدين والخصوم .

والطريف في حكاية التجديد التي لم تتم فصولاً ، ان الراغبين في تجديد الولاية للجنرال ، قبل انتهائها بسنوات ، أخذوا يركزون على الأشخاص الذين اعتادوا أن يرشحوا أنفسهم وحتى الذين قد يردون في الاحتمال وتدفع بهم لعبة الحظ الى وسط الساحة .

هل التجديد كان وارداً في تقديرات الرئيس السابق ؟ ناس يجزمون ان الحاشية لم تحرك قضية التجديد والدعوة الا باشارة من سيد القصر . وناس يقولون : لا تظلموه ، لم يكن التجديد وارداً عنده . فهو لم يصدق متى انتهت الولاية ليأخذ ورقة اخلاء السبيل ويخلد الى الراحة في بيته .

الأمير عبد العزيز شهاب يقول ان الجنرال كان غريباً عن فكرة التجديد . حتى ان منصب الرئاسة كان بعيداً عن ذهنه . « سنة 1958 هب الجميع اليه ، غير أنه كان يمانع ويرفض . كان يصدهم بكلمته المعروفة : أنا رجل عسكري ولا أتدخل في السياسة » .

حتى أن أركان عهده يقولون اليوم أنهم لا يعتبرون شهاب رئيساً سابقاً وانما قائد جيش متقاعداً . كأنه لم يمر في هذا العالم السحري المليء بالالغاز والرموز .

يتابع الامير عبد العزيز : « الكبير والصغير كان يعرف سنة 1958 ان الجنرال هو

الرئيس المقبل . الا ان الجنرال لم يقل كلمته حتى جاءه روبرت مورفي وقال له : درست الوضع في البلاد وشاهدت وسمعت وكونت الرأي النهائي . بدك تتكل على الله وترشح نفسك » .

النفي ونفي النفي

> في 23 كانون الثاني 1970 أرسل الدكتور شارل مالك الى « النهار » نفياً للحديث التلفوني الذي نسبه اليه الرئيس صائب سلام حول احداث صيف 1958 . وقال :
>
> « في الصفحة 40 من « النهار » الخاص (الميلاد ورأس السنة) رواية للرئيس صائب سلام عن مخابرة تلفونية اجريتها من واشنطن عام 1958 مع الرئيس كميل شمعون ، وكنت آنذاك وزيراً للخارجية .
>
> ان الحديث التلفوني المزعوم هو من نسج الخيال المحض ولا اساس له من الصحة والحقيقة التاريخية الواقعية على الاطلاق .
>
> . . . وتعليقاً على نفي الدكتور مالك قال الرئيس صائب سلام في 25 كانون الثاني 1970 : كنت اود الا انكأ جروحاً قديمة وادخل في حوار حول هذا الموضوع ، لكني أجد نفسي مضطراً الى أن أؤكد صحة الرواية الواردة في الصفحة 40 من « النهار » الخاص .
>
> وانني اثق تماماً بمن نقلها الي وهو سفير لبنان السابق في واشنطن السيد نديم دمشقية ، وان الحديث أجري من مكتب السفير دمشقية بالذات في السفارة اللبنانية في واشنطن .

— وبالنسبة الى التجديد ؟ .

— « العامل الشخصي لعب دوراً رئيسياً في عدم قبول التجديد خصوصاً بعدما تأكد أن أميركا ماشية ضد التجديد . وما كان يقوله السفير الاميركي ارمن ماير في الصالونات ساعد الرئيس شهاب على اتخاذ قراره برفض التجديد » .

وبما ان التجديد لم يعد وارداً بدأ البحث عن البديل ، عن المرشح الذي يكون في خط النهج الشهابي ولا يكون خصماً للذين خاصموا هذا الخط .

في هذا المجال يقول الامير عبد العزيز : « بعدما طويت صفحة التجديد وردت اشارة الى ضرورة اخذ تواقيع النواب الذين مشوا مع التجديد على انهم يمشون مع الشخص الذي ترشحه الأكثرية . وقد أقرت هذه الخطوة في الاجتماع الذي عقد في منزل

شارل سعد بحضور 33 نائباً . وهؤلاء يفرضون بدورهم المرشح على الاكثرية الاساسية . عندها اقترح جميل لحود والياس الخوري ان يذكر في الاتفاق شرط يقول ان المرشح يجب ان يكون من داخل المجلس . اعترض فؤاد بطرس ورينه معوض وساعدهما رشيد كرامي . عندها فهم الذين كانوا في منزل سعد ان المسألة فيها وما فيها . كنت انا عرفت ان القرعة طلعت من نصيب شارل حلو .

وفي اجتماع الكارلتون ، الذي تحول الى مجمع شهد حرداً وزعلاً وقيلت داخله اشياء وأشياء ، تكرس ترشيح شارل حلو . التقى بين الاكثرية من يقول ان عبد العزيز شهاب بطاش وخطر . ثم ان حجة الرئيس شهاب ضعفت ، فعبد العزيز واحد من العائلة ، والناس يحبون القيل والقال .

حادثة لا تروح من بال الامير . قال : « كانت المعركة محتدمة وعدد أسماء المرشحين للرئاسة يعلو وينخفض . كنت في جبهة النضال الوطني . مرة كنا مجتمعين ، قال لي كمال جنبلاط : بصرت بنومي المرحومة والدتي . بكيت . قالت لي يجب ان تمشي مع عبد العزيز شهاب . بالطبع لم يمش معي ، لأنه كان يستقبل عند كل فجر ، قبل اجتماع شارل سعد ومجمع الكارلتون ، شارل حلو ساعات وساعات . . . كما كشف أخيراً في افتتاحيات « الأنباء » ، واتفق معه » .

حلو ارضى الجميع

معركة 1964 كانت ، في واقعها وأبعادها ، معركة التجديد أو عدم التجديد لفؤاد شهاب . لذلك فان الأسماء التي كانت تطرح في التداول لم تكن تثير الفضول او الجدل . كانت مجرد أسماء تتردد على هامش المعركة الكبرى .

يقول بيار اده : « بعدما دخلت قضية التجديد في طور الجدية قام ارمن ماير بزيارة الرئيس شهاب واجتمع به مطولاً . بحث معه في الموضوع المهم ثم أبلغه ان قضية التجديد غير مستحسنة . وعلى الرئيس ان يعلم أصدقاءه الذين يعملون على أساس التجديد بأن التجديد ليس وارداً . قال له شهاب انه لم يفكر في التجديد وانه ينتظر لحظة انتهاء ولايته بفارغ صبر .

عدنها اقترح ماير ان يصير اطلاع دعاة التجديد على ذلك ويطلب اليهم التقيد

بتعليمات الرئيس شهاب . في هذا الاجتماع تم الاتفاق بين شهاب والسفير الاميركي على ان يكون شارل حلو هو الخلف .

بالطبع كانت هناك « حفلة الاستئناس » التي اخذت دوراً كبيراً بين كامل الأسعد والشهابيين . وهناك القرعة ، بالاضافة الى ان الرئيس السابق كان ملبكاً بقصة عبد العزيز شهاب الذي كان صاحب حظ كبير .

وشارل حلو ؟

يقول موسى مبارك : « ليست للرجل أكثرية في المجلس . ثم ليست له قوة شعبية . فرضه الجنرال شهاب ، بمساعدة بعض السلطات الروحية مع عدم معارضة الرئيس عبد الناصر الذي كان يفضل فؤاد عمون . ناصرية عمون المبجحة قطعت الطريق عليه عند الذين يفرضون ويمونون وتسمع كلمتهم » .

الرئيس صائب سلام عنده الخبر اليقين : « كنت مقتنعاً بأن التجديد لن يمر . وأنا ضد التجديد كمبدأ . ثم أن وجود الجنرال شهاب شجع على انتقال الشرعية من أيدي اصحابها الى أيدي غير الشرعيين ، فكيف اذا جدد شهاب وبقيت الشهابية؟ » .

ويضيف سلام : « وخلف باب التجديد كان ثمة رجل يحكي عن دوره بهمس . اللواء عبد الحميد غالب . غطس السفير المصري في قضية التجديد وغطّس معه اسم عبد الناصر . بعد انتهاء الموضوع وانتخاب شارل حلو رئيساً زرت القاهرة وقابلت عبد الناصر . جرى الحديث في المقابلة حول موضوع التجديد وكيف أن غالب كان يضرب بسيف السلطان ويلوح به في وجوه الذين وقفوا ضد التجديد .

أثر هذه المقابلة طلب عبد الناصر سليمان فرنجية لزيارة القاهرة . وصل فرنجية الى العاصمة المصرية . اجتمعنا بعبد الناصر . أثناء الاجتماع استدعى الرئيس السفير غالب وأنبه على موقفه من التجديد ، فنفى غالب ان يكون تدخل ، وقال له امامنا : وحياة راسك يا سيادة الرئيس لم اتدخل على الاطلاق ! .

إذا جــدد . . .

ويكمل سلام عن التجديد ، يقول : « أتاني يوماً أنور الخطيب . جاء يطبقني لامشي مع التجديد باسم كمال جنبلاط . ثم جاء جنبلاط . قلت له : اقعدوا عاقلين .

التجديد يشق البلاد . ثم جاء بهيج تقي الدين . بعد نقاش قصير اقتنع . قال معك حق . ما لازم يصير تجديد . اقترح ان اقابل شهاب . رفضت . قلت : لا . قال : تجتمع بفيليب تقلا ؟ قلت لا مانع . اجتمعت بفيليب الذي كان احد أركان جبهة التجديد . حكينا . قلت له : اذهب الى عند شهاب واطلب منه ان يوقف هذه الموجة . اذا جدد ستنقسم البلاد ويقوم المسيحيون ضده . في اليوم التالي جاء فيليب تقلا وأبلغني أنه قابل شهاب ونقل اليه رأيه في موضوع التجديد . قال له شهاب : أبلغ صائب اني اقتنعت برأيه . معه حق .

كانت مطروحة أسماء عدة : فؤاد عمون ، الياس الخوري ، عبد العزيز شهاب ، الدكتور فيليب حتي ، سليمان فرنجية وريمون اده . فرنجية كان مرشحاً قوياً . مشى معنا اده في الأول ، لكنه تراجع بحجة ان جماعته لم توافق . تراجع العميد الحق بالقضية ضرراً كبيراً . لو بقيت الجبهة المعارضة متماسكة كانت الحالة تغيرت كثيراً .

بعد ذلك تعددت الاجتماعات واللقاءات . واتفقنا على شارل حلو الذي انتخب بما يشبه الاجماع . نال بيار الجميل 6 أصوات ووجدت ورقة بيضاء وضعها نسيم مجدلاني الذي قال تبريراً ان ضميره لم يطاوعه ان ينتخب شارل حلو .

على صعيد النفوذ والتدخل و« الاصابع التي تشد الخيوط الناعمة والغليظة » يقول سلام : « في السنوات الاخيرة بدأ الناس ينظرون باهتمام الى الشخص الذي ترضى عنه دولتان : أميركا ومصر . بالاضافة الى الدولتين هناك فرنسا والفاتيكان ، وغيرهما . كان عند البعض اعتقاد ان حلو هو الابن الروحي للفاتيكان وان البابا هو الذي دعم ترشيحه للرئاسة » .

ارمن ماير ؟ بالطبع صال وجال وقال كلمته في التجديد وفي المرشح الجديد . سمى شارل حلو . وافق شهاب وانتهت المشكلة .

ارضــاء المعسكريـن

أما تقي الدين الصلح فانه يلتقي مع سلام في القول ان اتفاق اميركا ومصر هو الذي مهد الطريق امام رئاسة شارل حلو . « الا ان هذا الاتفاق لم يمنع حلو من الاشتغال لحسابه مع الجميع . مع شهاب وشمعون واده والجميل والفاتيكان وكل الذين يعتقد ان حسكتهم تسند خابية طموحه . قبل 15 يوماً من مجمع الكارلتون الذي سمى حلو مرشحاً

للأكثرية ، التقى الرئيس الحالي بالرئيس الاسبق كميل شمعون على درج بكركي . تصافحا بحرارة . قال شمعون لحلو : أهنئك يا فخامة الرئيس » .

والشيخ خليل الخوري يقول ان مجيء شارل حلو كان نتيجة صراع عنيف بين معسكرين في البلاد : معسكر كان له مرشح واحد هو فؤاد شهاب ، ومعسكر آخر له بضعة مرشحين الا انه يمثل تياراً معيناً . فبعد توتر الحالة في البلاد ، وبعدما رد شهاب قانون التجديد ، درس الرئيس السابق الموقف مع اصدقائه ، خصوصاً فيليب تقلا والياس سركيس والشيخ ميشال الخوري ، فوجد في شخصية شارل حلو الميزات والمزايا التي تؤكد انتماءه الى المسعكر الشهابي مع تأمين ارتياح المعسكر الآخر ورضاه . « ان الرضى المشترك بين المعسكرين على شارل حلو ابقى الرئيس الحالي تحت تأثير محاولات ارضاء الفريقين . . . » .

بعد هذه الجولة في متاهات « صناعة الرؤساء » ، هل يستطيع اللبناني العادي ان يجيب بشيء اذا سئل : من يصنع رؤساء الجمهورية في لبنان ؟ .

المجالس التي انتخبت

شارل دباس :

المجلس الذي انتخب شارل دباس(1926) كان مؤلفاً من عمر الداعوق ، عمر بيهم ، جورج تابت ، بترو طراد ، ميشال شيحا ، خير الدين عدرا ، عبود عبد الرزاق ، الدكتور مسعود يونس ، وديع طربيه ، نقولا غصن ، الامير فؤاد ارسلان ، الدكتور جميل تلحوق ، اميل تابت ، جورج زوين ، روكز ابو ناضر ، نجيب السعد ، المشيخ يوسف الخازن ، ابراهيم المنذر ، الامير خالد شهاب ، نجيب عسيران ، عبد اللطيف الأسعد ، الدكتور حبيب ناصيف ، يوسف سالم ، حسين قزعون ، صبحي حيدر ، صبري حمادة ، موسى نمور ، شبل دموس والياس طعمة سكاف .

اميل اده :

المجلس الذي انتخب اميل اده(1936) كان مؤلفاً من خير الدين الأحدب ، الدكتور ايوب تابت ، وهرام ليلكيان ، امين المقدم ، محمد عبود عبد الرزاق ، حميد فرنجية ، شبل عيسى الخوري ، نقولا غصن ، حكمت جنبلاط ، الشيخ فريد الخازن ، ميشال زكور ، كميل شمعون ، الشيخ ابراهيم المنذر ، نجيب عسيران ، فضل الفضل ، الدكتور محمد امين قزعون ، صبري حمادة ، الياس طعمة سكاف ، الامير خالد شهاب ، ابراهيم حيدر ، الامير مجيد ارسلان ، اميل اده ، الشيخ بشارة الخوري ، شارل دباس وجبرائيل خباز .

بشارة الخوري :

المجلس الذي انتخب بشارة الخوري(1943) : سامي الصلح ، صائب سلام ، عبد الله اليافي ، الحاج محمد بيضون ، حبيب ابو شهلا ، هراتشيا شامليان ، الدكتور ايوب تابت ، سليمان العلي ، سعدي المنلا ، عبد الحميد كرامي ، محمد المصطفى ، محمد عبد الرزاق ، بطرس الخوري ، حميد فرنجية ، وهيب جعجع ، يوسف اسطفان ، يوسف ضو ، نقولا غصن . الدكتور يعقوب صراف ، الدكتور عبد الغني الخطيب ، احمد الحسيني ، الدكتور جميل تلحوق ، كمال جنبلاط ، الامير مجيد ارسلان ، اسعد البستاني ، اميل اده ، اميل لحود ، امين السعد ، بشارة الخوري ، جورج زوين ، جورج عقل ، كميل شمعون ، وديع الاشقر ، وديع نعيم ، جبرائيل المر ، سليم تقلا ، رياض الصلح ، احمد الاسعد ، رشيد بيضون ، علي العبد الله ، كاظم الخليل ، محمد الفضل ، عادل عسيران ، مارون كنعان ، نسيب غبريل ، يوسف سالم ، رفعت قزعون ، ابراهيم حيدر ، صبري حمادة ، نسيب الداوود ، يوسف هراوي ، اديب الفرزلي وهنري فرعون .

كميل شمعون :

المجلس الذي انتخب كميل شمعون(1952) : امين بيهم ، سامي الصلح ، صائب سلام ، عبد الله اليافي ، رشيد بيضون ، شارل حلو ، حبيب ابو شهلا ، هنري فرعون ، موسيس دير كالوستيان ، الدكتور ملكون هيرابيديان ، موسى دي فريج ، رامز سركيس ، جوزف شادر ، صلاح البزري ، الامير سهيل شهاب ، احمد الاسعد ، حسين العبد الله ، سليمان عرب ، علي بزي ، الدكتور علي بدر الدين ، محمد صفي الدين ، محمد علي الغطيمي ، محمد الفضل ، رشاد عازار ، مارون كنعان ، الياس طرابلسي ، نقولا سالم ، ناظم القادري ، رفعت قزعون ، ابراهيم حيدر ، صبري حمادة ، فضل الله حمادة ، سليم الداوود ، شفيق حنا الضاهر ، يوسف هراوي ، جان سكاف ، حبيب مطران ، اسكندر سرسق ، احمد الحسيني ، جورج كرم ، روفائيل لحود ، سليم الخازن ، جورج زوين ، عبد الله الحاج ، بشير الأعور ، الدكتور الياس الخوري ، ايليا أبو جودة ، بيار اده ، اميل لحود ، ميشال ضومط ، فؤاد الخوري ، ديكران توسباط ، انور الخطيب ، بهيج تقي الدين ، كمال جنبلاط ، الامير مجيد ارسلان ، كميل شمعون ، اميل البستاني ، سليم الخوري ، غسان تويني ، فيليب تقلا ، رشيد كرامي ، سعدي المنلا ، نصوح الفاضل ، قبولي الذوق ، الدكتور هاشم الحسيني ، فؤاد البرط ، سليمان العلي ، بشير العثمان ، البير الحاج ، الدكتور يعقوب الصراف ، حميد فرنجية ، كميل عقل ، قبلان عيسى الخوري ، انطوان اسطفان ، يوسف كرم وفيليب بولس .

فؤاد شهاب :

المجلس الذي انتخب فؤاد شهاب(1958) : سامي الصلح ، خليل الهبري ، خاتشيك

بابكيان ، نسيم مجدلاني ، بيار اده ، جميل مكاوي ، فوزي الحص ، شفيق ناصيف ، رشيد بيضون ، موسيس ديركالوستيان ، جوزف شادر ، عادل عسيران ، معروف سعد ، كاظم الخليل ، رضا وحيد ، علي بزي ، جان عزيز ، فريد قوزما ، نقولا سالم ، كامل الأسعد ، يوسف الزين ، محمد الفضل ، البير مخيبر ، سليم لحود ، اسد الاشقر ، ديكران توسباط ، الامير مجيد ارسلان ، جورج عقل ، منير أبو فاضل ، موريس زوين ، كلوفيس الخازن ، نهاد بويز ، اميل البستاني ، انور الخطيب ، قحطان حمادة ، هنري طرابلسي ، نعيم مغبغب ، بشير الأعور ، ايليا أبو جودة ، محمود عمار ، ادوار حنين ، جوزف سكاف ، جورج الهراوي ، اديب الفرزلي ، تقي الدين الصلح ، ناظم القادري ، سليم الداوود ، صبري حمادة ، ابراهيم حيدر ، شفيق المرتضى ، فيليب تقلا ، حميد فرنجية ، رينه معوض ، قبلان عيسى الخوري ، شارل مالك ، جان حرب ، نصوح آغا الفاضل ، رشيد كرامي ، نديم الجسر ، هاشم الحسيني ، فؤاد البرط ، بشير العثمان ، رؤوف حنا ، ميشال الضاهر ، عبد الكريم القدور وريمون اده .

شارل حلو :

المجلس الذي انتخب شارل حلو(1964) : بيار الجميل ، انطون صحناوي ، شارل سعد ، خاتشيك بابكيان ، سورين خان اميريان ، موسيس ديركالوستيان ، فؤاد بطرس ، صائب سلام ، نسيم مجدلاني ، عثمان الدنا ، صبحي محمصاني ، رشيد الصلح ، جوزف شادر ، رشيد بيضون ، فريد جبران ، سامي الصلح ، ادوار حنين ، محمود عمار ، نجيب صالحة ، ميشال فرحات ، الياس الخوري ، سليم لحود ، موريس الجميل ، جميل لحود ، البير مخيبر ، اندره طابوريان ، منير ابو فاضل ، مجيد ارسلان ، فضل الله تلحوق ، اميل مكرزل ، خليل الخوري ، كمال جنبلاط ، بهيج تقي الدين ، انور الخطيب ، محمد البرجاوي ، عبد العزيز شهاب ، عزيز عون ، سامي البستاني ، جوزف مغبغب ، الياس الخازن ، موريس زوين ، نهاد بويز ، جورج كرم ، انطون سعيد ، شهيد الخوري ، علي الحسيني ، جان حرب ، مانويل يونس ، فؤاد غصن ، فيليب بولس ، رينه معوض ، سليمان فرنجية ، الأب سمعان الدويهي ، قبلان عيسى الخوري ، حبيب كيروز ، رشيد كرامي ، هاشم الحسيني ، سالم كبارة ، أمين الحافظ ، فؤاد البرط ، محمد علم الدين ، مرشد الصمد ، بشير العثمان ، يعقوب الصراف ، رشدي فخر ، بهيج القدور ، جوزف سكاف ، يوسف هراوي ، مخائيل الدبس ، حسين منصور ، رفعت قزعون ، اديب الفرزلي ، ناظم القادري ، شبلي آغا العريان ، صبري حمادة ، فضل الله دندش ، نايف المصري ، تقي الدين الصلح ، بشير كيروز ، شفيق المرتضى ، محمد عباس ياغي ، انطون مالح ، معروف سعد ، مارون كنعان ، جان عزيز ، سيمون صحناوي ، راشد الخوري ، عبد الكريم الزين ، كامل الأسعد ، غالب شاهين ، انور الصباح ، ممدوح العبد الله ، اسعد بيوض ، سهيل شهاب ، عبد اللطيف الزين ، عبد الله الغطيمي ، عبد اللطيف بيضون ، محمد صفي

الدين ، علي عرب وجعفر شرف الدين .

أربعة عهود وخمسة رجال

نواب اشتركوا في انتخاب الرؤساء الأربعة : بشارة الخوري ، كميل شمعون ، فؤاد شهاب وشارل حلو :

صبري حمادة ، سامي الصلح ، الامير مجيد ارسلان ، رفعت قزعون وموسيس دير كالوستيان .

إنتخاب الرئيس في 6 مواد

عملية انتخاب رئيس الجمهورية في لبنان نصت عليها مادتان - هما المادتان 49 و50 - من الدستور اللبناني وأربع مواد - هي المواد 6 و28 و30 و31 من قانون الانتخابات النيابية .

الدستور

المادة 49 - ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري بغالبية الثلثين في مجلس النواب في الدورة الأولى ويكتفي بالغالبية المطلقة في دورات الاقتراع التي تلي . وتدوم رئاسته ست سنوات ولا تجوز اعادة انتخابه الا بعد ست سنوات لانتهاء مدة ولايته ولا يجوز انتخاب احد لرئاسة الجمهورية ما لم يكن حائزاً الشروط التي تؤهله للنيابة .

المادة 50 - عندما يقبض رئيس الجمهورية على ازمة الحكم عليه ان يحلف امام البرلمان يمين الاخلاص للأمة والدستور بالنص الآتي :

« أحلف بالله العظم اني احترم دستور الأمة اللبنانية وقوانينها واحفظ استقلال الوطن اللبناني وسلامة اراضيه » .

قانون الانتخاب

المادة 6 - لا يجوز ان ينتخب عضواً في المجلس النيابي الا من كان لبنانياً مقيداً في قائمة الناخبين ، أتم الخامسة والعشرين من عمره ، متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية ، متعلماً . ولا يجوز انتخاب المتجنس بالجنسية اللبنانية الا بعد انقضاء عشر سنين على تجنسه .

رؤساء ما قبل الاستقلال

المادة28 ـ ان رجال الجندية ومن هم في حكمهم على اختلاف الرتب سواء اكانوا من الجيش ام من قوى الأمن الداخلي والأمن العام لا يشتركون في الاقتراع متى وجدوا في فرقتهم ومراكزهم او في حالة القيام بوظائفهم . اما الذين يكونون في وقت الانتخاب محالين على الاستيداع او حاصلين على اجازة قانونية لا تقل عن ثلاثين يوماً ، فيمكنهم ان يقترعوا في الدائرة التي قيدت فيها اسماؤهم .

ان رجال الجندية ومن هم في حكمهم على اختلاف الرتب سواء اكانوا من الجيش ام من قوى الأمن الداخلي والأمن العام ، لا يمكن انتخابهم اعضاء للمجلس النيابي وان كانوا محالين على الاستيداع او على الاحتياط . غير انه يجوز انتخابهم اذا كانوا محالين على التقاعد او قبلت استقالتهم قبل تاريخ الانتخاب بستة اشهر .

المادة30 ـ لا يجوز انتخاب الاشخاص المذكورين في ما يأتي في أية دائرة انتخابية مدة قيامهم بوظائفهم وخلال الستة أشهر التي تلي تاريخ استقالتهم وانقطاعهم فعلياً عن وظائفهم :

1 ـ الموظفون من الفئتين الأولى والثانية .
2 ـ القضاة من جميع الفئات .
3 ـ رؤساء البلديات المعينون ، في مراكز المحافظات .
4 ـ رؤساء مجالس ادارة المؤسسات العامة ومديروها واعضاؤها .
5 ـ القائمقامون ورؤساء اللجان البلدية المعينون ، في مراكز اقضيتهم .

المادة31 ـ اذا شغر احد المقاعد النيابية بسبب الوفاة او الاستقالة او اذا حل المجلس قبل نهاية ولايته بستة اشهر على الاقل جاز انتخاب الموظفين المذكورين في المادة السابقة وايضاً رجال الجندية ومن هم في حكمهم على اختلاف الرتب سواء اكانوا من الجيش ام من قوى الأمن الداخلي والأمن العام اذا استقالوا وانقطعوا فعلياً عن وظائفهم خلال خمسة عشر يوماً تبدأ من تاريخ مرسوم دعوة الهيئات الانتخابية . وتعتبر الاستقالة مقبولة من تاريخ تقديمها .



الرئيس الفرد نقاش ، والى جانبه رئيس وزرائه سامي الصلح .

مع أنهم كانوا يُعيَّنون تعييناً مباشراً ، وبموجب فرمان من المفوض السامي الذي حل عالياً على لبنان محل مفوض الباب العالي ، فرؤساء ما قبل الاستقلال يصح فيهم القول انهم كانوا أفضل بكثير من كثيرين من رؤساء ما بعد الاستقلال .

كانوا يُصنعون فعلاً : كونوا رؤساءً ، فيكونون .

لكنهم جاهدوا الجهاد الحسن ، في ظروف قاسية وتحت لواء الغطرسة الانتدابية عبر باب قصر الصنوبر حيث يجلس السلطان السامي . وكانت لهم أحياناً وقفات عزّة كثيراً ما هزَّت برنيطة المندوب فوق العادة . . . هزات غير عادية .

في كل حال الغاية من العودة ، اليوم ، الى ملف رؤساء ما قبل الاستقلال ليست لاظهار حسنات ذاك الرعيل وسيئات الرعيل الذي بعد ، بقدر ما هي الرغبة في تغيير ما على صعيد القرار الوطني ، الذي لا يزال قاصراً ينوب عنه ألف وصي ويتَّخذه بالنيابة عن اللبناني اكثر من مفوضٍ سامٍ واحد .

فرؤساء لبنان ما زالوا يُصنعون في الخارج ، ينتخبهم أو يسمّيهم رؤساءً لنا وعلينا ناخبون كبار ، ويقترع بالموافقة ناخبون صغار . والارادة الوطنية اللبنانية هي في العادة ذلك الناخب الصغير .

ما قبل الاستقلال

رؤ ساء ما قبل الاستقلال ؟ .
من الصعب انصافهم .
ومن الصعب اكثر الحكم عليهم وظلمهم .

لقد كان الانتداب فكانوا . . . رؤ ساء على اللبنانيين تحت سلطة المفوض السامي . يقيلهم ثم يعيِّنهم ثم يقيلهم ثم يفعل السبعة وذمتها .

تارة يكون الدستور دستوراً ويمشي الحال .
وتارة يعلق الدستور وتتوقف جميع الأحوال .

اذا كان الميزان مائلاً لمصلحة من لا يعجب الانتداب يطير الدستور والمجلس والحكومة والذي مال الميزان لمصلحته .

اما اذا كان المرشح لاعتلاء سدة رئاسة ذلك الزمان مرضياً عنه ، فلينتصب الميزان ضده وتقوم القيامة ويحدث ما يحدث . . . لكنه يعيَّن رئيساً بقرار من المفوض السامي او يعيَّن انتخاباً من المجلس النيابي بأوامر من . . . المفوض السامي او المندوب عنه .

كل ما يقال يصدَّق .
وكل ما يقال غريب الى حد الطرافة .
وكل ما يقال يثير الدهشة .

وكل ما يقال تشيب له رؤ وس الأطفال ، فكيف بالذي لا يقال وهو قابل لأن يصدَّق وان كان أكثر غرابة واكثر طرافة واكثر اثارة ؟ .

رؤ ساء ما قبل الاستقلال ؟

هذا هو السؤ ال ، وهذا هو الجواب ، او بعض الجواب في هذا الملف .

لبنان الكبير

في الجزء الأول من « حقائق لبنانية » يصف الشيخ بشارة الخوري كيف ولد « لبنان الكبير » ، ثم كيف أصبح لهذا اللبنان رئيس للجمهورية ، ثم كيف كان وضع لبنان تجاه الانتداب . « ومن تلك النقطة تنطلق اعجوبة المراحل التي مشاها اللبنانيون خطوة بعد اخرى ، حتى بلغوا بعون الله استقلالهم وسيادتهم » .

وكيف كان ذلك ؟ .
هنا بيت القصيد .

في 31 آب 1920 أعلن الجنرال غورو لبنان الكبير مستقلاً ، مع المساعدة الفرنسية . وللمناسبة جرى في اول ايلول احتفال رسمي بهذا الحدث في قصر الصنوبر ، فألقى غورو خطابه المعروف وعن يمينه البطريرك الياس الحويك وعن يساره المفتي الشيخ مصطفى نجا . وعلى الاثر صدر قرار المفوض السامي بتعيين الكومندان ترابو حاكماً على لبنان الكبير على ان يتسلم مهام الحكم في أول تشرين الأول من السنة نفسها .

ثم تبعت ذلك خطوة أخرى : أنهت السلطة الفرنسية ولاية اللجنة الادارية التي عينتها ، وأصدرت قانون انتخاب جديداً دعت بموجبه الناخبين الى انتخاب ثلاثين عضواً يمثلون المناطق والطوائف على أساس المحافظات والبلديات الممتازة .

وبالطبع مارست السلطة المنتدبة ضغوطاً هائلة وتدخلت بشكل سافر في أول عملية انتخاب لأول مجلس تمثيلي . تم انتخاب الثلاثين عضواً ، ثم انتخب حبيب باشا السعد رئيساً للمجلس الجديد . . . بناء على رغبة حاكم لبنان الكبير .

في هذا الوقت ، وبينما الانتداب يتعثر في ادارة البلاد ويتورط في الخلافات المحلية الضيقة ويدخل فريقاً في المنازعات ، حدث شيء . فقد عينت الحكومة الفرنسية مندوباً سامياً مدنياً ، للمرة الأولى منذ الاحتلال ، هو هنري دي جوفنيل عضو مجلس الشيوخ والصحافي اللامع والخطيب الذائع الصيت . كانت الثورة في سوريا قد اندلعت نارها . فاطمأن البال بعض الشيء بتعيين دي جوفنيل ، الا ان الثورة لم تخمد بل امتدت الى جبل الدروز والى حاصبيا وراشيا ومنطقتي اكروم والضنية في الشمال .

وصل دي جوفنيل في كانون الأول 1925 ، فجرى له استقبال حافل ، فعرض الجيش في ساحة الشهداء وألقى خطاباً حماسياً ختمه بعبارته المأثورة « الحرب لمن يريد الحرب والسلم لمن يريد السلم » .

ماذا فعل المندوب الجديد ؟ .

طاف في الانحاء الهادئة من سوريا ، دون سواها . يقول الشيخ بشارة الخوري عنه انه كان مكثار الكلام . يحب الخطابة بمناسبة ودون مناسبة . يخطب في كل مدينة يزورها . فزلق لسانه مرة في تجواله فنادى بدول سوريا المتحدة « مما أثار الشكوك بنيته في لبنان » . وخـاف اللبنـانيون ان يكون حب الارضـاء لجيرانهـم قد بلـغ حد الانتقـاص من استقلالهم (!) فصمم بعض النواب على أن يستجوبوا الحكومة عن معنى ذلك الخطاب . تأزمت الحالة . ثم بعد أخذ ورد بين بيروت وباريس اضطر دي جوفنيل الى ان يصدر بياناً تفسيريا جاء فيه ان عبارة « دول سوريا المتحدة وردت بمعنى تصريح وزير الخارجية الفرنسية اريستيد بريان عن « دول اوروبا المتحدة » دون ان يمس ذلك استقلال أية دولة منها » .
بعد هذا « التوضيح » صرف النظر عن الاستجواب .

انما تلك الهيزعة جعلت دي جوفنيل يكتب الى حكومة لبنـان واعـداً بأنـه يدعـو المجلس النيابي في مهلة قصيرة لوضع دستور للدولة .

وبهذا الوعد فسح المندوب السامي المدني ، الكثير الكلام وزلقات اللسـان ، في المجال امام المجلس الجديد ، الذي كان اول دخوله ، ليجتمع على الفور وينتخب لجنة خاصة لاعداد الدستـور وتنسيق بنـوده . وكلفـت اللجنـة استشـارة الهيئـات الرسـمية وأصحاب الرأي من كبار الموظفين والقضاة والمحامين ، فانقلب المجلس التمثيلي منذ تلك اللحظة الى مجلس تأسيسي ريثما يصبح مجلساً نيابياً بعد اعلان الدستور . وانتخب بترو طراد وميشال شيحا مقررين للجنة ، فأعدا اسئلة خطية عن المبادىء الأساسية للدستور الجديد أرسلاها الى اصحاب الاختصاص والخبرة للاجابة عنها .

وعندما استكملت الاجوبة الخطية دعيت الشخصيات التي سئلت رأيها للحضور امام اللجنة واستمع الى رأيها مجدداً ، كما نوقش هذا الرأي .

ثم وضعت اللجنة المكلفة النصوص بالاتفاق مع شارل دباس ممثل الحكومة مدير العدل والسيد سولومياك مندوب المفوض السامي في لبنان والسيد سوشيه المعين خصيصاً لهذه المهمة . وضعت نصوصاً تحفظ حقوق الانتداب الفرنسي .

يقول الشيخ بشارة الخوري انه « لم يكن في الامكان في نوار 1926 ان تنال البلاد اكثر مما نالته اذ لم يكن في مقدور اللبنانيين الا صعود السلـم درجـة درجـة ، فالطفـرة محال » .

دستور ورئيس جمهورية ووزارة

في الثالث والعشرين من أيار 1926 عقد المجلس النيابي جلسة بحضور المفـوض السامي الذي اعلن امام « ممثلي الشعب » والحـاكم والمديرين والقضـاة وكبـار الموظفـين الدستور اللبناني الجديد .

وتبعاً لذلك عين بقرار من المفوض السامي مجلس شيوخ من ستة عشر عضـواً ، وأصبح المجلس التأسيسي مجلساً نيابياً .

وفي السادس والعشرين من أيار دعي المجلسان الى مجمع نيابي لانتخـاب رئيس الجمهورية ، اول رئيس جمهورية للبنان ، بموجب الدستور الذي يحفظ للانتداب كامل حقوقه ويضع المفوض السامي في قمة السلطة .

ولم ينتظر المفوض السامي الموعد لاعداد المرشح لمنصب الرئاسة ، فأشار التوجيه الرسمي الى شارل دباس، مدير العدل « تقديراً للمزايا التي يتحلى بها ، ولصفات أخرى منها علمه وخبرته واعتداله ونزاهته وعدم انتسابه لحزب أو غرض ، يضاف الى ذلك كله ان زوجته فرنسية » .

هنا يضع صاحب « حقائق لبنانية » اشارات خاصة حول الترتيبات التـي كانـت معدة ومهيأة لانتخاب الدباس : « كانـت البطـريركية المارونية ترى بحـكم الطبـع ان منصب الرئاسـة الأولى هو من حق الطائفـة المارونية الأكثر عدداً في لبنـان . وقيل ان البطريرك حويك كان يفكر بنجيب باشا ملحمه ، لكن الفرنسيين اقنعوه بصعوبة الأمر ، وان خير من يولىّ في هذه الظروف هو مرشحهم ، على ان تعود الرئاسة المقبلة الى الطائفة الاكثر عدداً » .

وتلافياً للوقوع في شرك الالتباسات والمآخذ اشارت السلطة الفـرنسية على شارل دباس بأن يقوم ببعض الـزيارات ، بينهـا البطـريرك حويك والمطـران مبـارك في كرسي بيروت . بعد هذه الزيارات اعلنت بكركي ، كما أعلن مبـارك ، الـرضى عن شخص الدباس مع تحفظ مبدئي احتياطاً للمستقبل .

جاء يوم السادس والعشرين من أيار وكان كل شيء معداً سلفا كي يصبح شارل دباس رئيساً للجمهورية بالاجماع : الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم افتتحت جلسـة المجمع النيابي برئاسة الشيخ محمد الجسر الرئيس الجـديد لمجلس الشيوخ ، وبحضـور

الحاكم كيلا والمديرين وكبار الموظفين والقضاة والضباط الفرنسيين واللبنانيين . وتم الاقتراع واعلنت النتيجة على الفور بانتخاب الدباس رئيساً بالاجماع . وبعدما هنأه رئيسا المجلسين والنواب تقدم منه الحاكم ليون كيلا وعانقه ، ثم دعاه الى صالون الحاكم في السراي الصغير واجلسه على الكرسي وانسحب من القاعة ليفسح له في المجال لتقبل التهاني .

ولما انتهى الدباس من التهاني ركب سيارة مكشوفة يرفرف عليها العلم اللبناني ، يواكبها الفرسان ، الى قصر الصنوبر حيث زار المفوض السامي . ورد له المفوض الزيارة على الفور .

وفي 31 أيار صدرت مراسيم الوزارة الأولى برئاسة أوغست أديب وعضوية نجيب القباني وبشارة الخوري وعلي نصرت الأسعد ونجيب الاميوني ويوسف أفتيموس .

بالطبع يبقى سؤال ، لا يسقطه من الأهمية رضى بكركي والانتخاب بالاجماع : لماذا جيء بالدباس الروم الارثوذكسي رئيساً والموارنة هم الاكثرية ؟ .

بعض جوانب هذا السؤال تجيب عنه سيرة شارل دباس كما أوردها فؤاد مطر في « رؤساء لبنان » :

أنهى الدباس ، الذي ينتمي الى عائلات الحي السرسقي ، دروسه الثانوية في اليسوعية ، وتوجه بعد ذلك الى باريس ودرس الحقوق في جامعاتها .

وفي باريس تزوج من فرنسية ثم عاد الى بيروت ، قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ليبدأ حياته العملية محرراً في جريدة « لا ليبيرته » التي أصدرتها « جماعة الاصلاح » . وهذه الحركة نشأت في « ولاية بيروت » بعد اعلان الدستور العثماني ، وبدأت تطالب بالحكم اللامركزي للاقطار العربية وتشعبت حتى صارت نواة النضال العربي ضد الحكم التركي .

معظم شهداء لبنان كانوا منتمين الى هذه الحركة وكان ابرزهم المغفور له ابو علي سليم سلام والد صائب سلام . (كان الاصلاحيون ينشرون آراءهم ومقالاتهم في جريدة « الريفاي » الفرنسية وجريدة « الثبات » العربية اللتين كان يصدرهما المرحوم اسكندر الخوري احد رجال الحركة) .

وعند اعلان الحرب هرب الدباس الى فرنسا وفي غيابه حكم المجلس الحربي العثماني عليه وعلى رفقائه الآخرين الذين فروا مثله بالاعدام .

بعد انتهاء الحرب رجع شارل دباس مع طلائع جيش الاحتلال الفرنسي وعين مديراً للعدلية واليه يرجع الفضل الأكبر في تنظيم المحاكم ونقابة المحامين ، فلم يعد يحق الا لحامل شهادة الحقوق ان يرافع بعدما كان مسموحاً لأي شخص بأن يدخل المحكمة ويرافع .

والذين عرفوا الدباس يتحدثون بضمير مرتاح عن نزاهته وهو في ادارة العدل ، وعن هدوئه الذي لا حدود له في تصريف شؤون الوظيفة المنوطة به .

والذين عرفوه عرفوا فيه ميله الى العزلة في برجه العاجي ، بعيداً عن الناس ، يقضي وقته دائماً في مكتبه وبين كتبه يتهكم على الكثيرين انما في السر لا في العلن حتى لا يجرح كبرياء احد منهم . ولم يكن ميالاً الى صداقة رجال الدين . لكنه بعدما تولى رئاسة الجمهورية اصبح يتقرب منهم . . . وفي ذكرى صعود البطريرك انطون عريضة قال في خطابه الرسمي كرئيس للجمهورية : « نحن دوماً نستمد من غبطتك القوة والحكمة ونسير بمشيئتك فلا نقوم بعمل لا تكون راغباً فيه وموافقاً عليه » . وقد أرضى الخطاب البطريرك لكنه أفقد الدباس تأييداً هو بأمس الحاجة اليه .

وكان الدباس متقشفاً يكتفي بمعاشه الشهري لكنه كان محاطاً بأناس بعضهم غير نزيه .

وفي معرض التحدث عن تقشفه يروى انه لم يكن يستعمل سيارة الرئاسة الا عند قيامه بالوظيفة . وكان حريصاً للغاية على أن يبكر في التوجه الى عمله ، وعندما تصل سيارته كان موظفو السراي يعرفون ان الساعة قد بلغت الثامنة صباحاً .

يروي الذي عرفوه عن قرب انه كان من هواة قراءة الكتب التي تبحث في المسائل القانونية والكتب التي تتحدث عن الدكتاتورية والحكام العظام . وقد حاول وهو في سدة الرئاسة القضاء على معظم الذين كانوا يطمحون بالوصول اليها . وربما لهذا السبب كان الجنرال ويغان يقول لرجال المفوضية والجيش ان « لا فرق بين الدباس وملك الداهومي ، سوى انكم كنتم تضعون ملك الداهومي في جيبكم في حين ان الدباس هو الذي يضعكم في جيبه » .

كان الدباس يلبس البرنيطه ، ويضع نظارتين بشكل دائم . قصير القامة ، كبير الأنف ، سمين ، يدخن بكثرة ولا يشرب الكحول .

في السابع والعشرين من آذار 1929 ، قبل انتهاء ولاية الدباس بشهرين ، اجتمع

المجلس النيابي وجدد انتخابه رئيساً بأكثرية 42 صوتاً ، ووجدت ورقة بيضاء واحدة باسم الشيخ محمد الجسر ، قيل ان البير قشوع هو صاحبها .

آخر حكومة في عهد الدباس تألفت برئاسة اوغست أديب في 25 آذار 1930 واستمرت حتى 10 أيار 1932 ، وكان أعضاؤها : صبحي حيدر ، موسى نمور ، حسين الأحدب وجبران تويني . وفي عهد تلك الوزارة التي تولى فيها جبران تويني وزارة المعارف اوجدت البكالوريا اللبنانية ، وتأسس المتحف الحالي .

وقبل انتهاء ولاية الدباس المحددة سنة 1932 اتجه فريق من النواب المارونيين الى انتخاب الشيخ محمد الجسر رئيساً للجمهورية معاكسين في ذلك اتجاه فريق آخر يريد الشيخ بشارة الخوري رئيساً ومعظمهم من النواب الانتدابيين . فاتخذ الانتداب هذا التنافس مبرراً لحل المجلس واقالة الوزارة التي كان يرئسها اوغست اديب وتعطيل الدستور وتعيين شارل دباس المنتهية مدة رئاسته رئيساً للدولة اللادستورية يعاونه مجلس مديرين (بدلاً من مجلس نيابي ومجلس وزراء) . وكان المديرون : صبحي ابو النصر ، جميل شهاب ، صبحي حيدر ، سامي الخوري ، رفيق ارسلان ، جوزف نمر شمعون ، الدكتور كامل غرغور ، وقام المير جميل شهاب بمهمة المستشار الاقرب للرئيس اللادستوري . . . يشجعه على مكافحة الاحرار والحريات .

وكان من نتائج « تفاهم » شارل دباس مع الانتداب على تعطيل الحياة النيابية ان معارضة شديدة نشأت في طول البلاد وعرضها وضمت للمرة الأولى في التاريخ جميع الطوائف اللبنانية في مناهضة اعمال الانتداب . وقد تزعم هذه المعارضة الدستورية الشيخ بشارة الخوري يؤيده من وراء الستار البطريرك انطون عريضة ورياض الصلح قائد الجبهة الاستقلالية في لبنان ومعه السلبيون الذين ما كانوا يعترفون بالكيان اللبناني . فخشي الفرنسيون مغبة الأمر واوعزت باريس الى المفوضية العليا في بيروت باسترضاء المعارضة وتغيير هذه السياسة . وكانت باكورة هذا الاسترضاء تعيين حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية مجاراة لرغبة بكركي .

وتقلص نفوذ الدباس واستهينت كرامته فأدار وجهه شطر باريس للاستعانة على امره بأصدقائه الكثيرين في وزارة الخارجية . وكان قد تناهى الى مسامع المفوض السامي دي مارتيل ما يزمع الدباس فعله اي السفر الى باريس فدعاه اليه وطيب خاطره وقال له انه اوصى جورج سمنه وكيله في مكتب الشرق في باريس ليكون في خدمته وليسهل له اتصالاته بالمقامات وانه (المفوض السامي) سيلحق به قريباً الى باريس .

ويقول المغفور له الشيخ بشارة الخوري في مذكراته « حقائق لبنانية » ان دي مارتيل عمد الى تلك المجاملة حتى لا يهاجمه الدباس ويهاجم سياسته في « الكاي دورسيه » . ولكن الذي لم يذكره الشيخ بشارة في هذا الصدد هو ان جورج سمنه ، الدمشقي الأصل ، كان جاسوساً للمفوض دي مارتيل . . .

وصيف 1935 توفي الدباس في باريس بعد مرض قصير وكان جورج سمنه يعوده في مرضه فيبوح له الرئيس القديم بآماله في العودة الى الحكم .

على ان الجواب عن حرص الفرنسيين على الاتيان بالدباس كان اقتناعه بسياسة الانتداب واستعداده الكامل لخدمة هذه السياسة ، بأي ثمن ، وأي اسلوب ، ولأن زوجته فرنسية . . . وربما ليكون تجربة حكم تسبق فترة الاستقلال وتكون ممهدة له . هذا رأي الكثيرين من الذين عاصروا الدباس والانتداب .

وعن « النهاية » يقول الشيخ بشارة الخوري : « اذكر ان القاضي الفرد ثابت ضرب في آخر كانون الأول 1932 . ويمكن القول ان حكم الدباس قد تداعت اركانه منذ ذلك اليوم . فقد اخبرنا الذين حضروا استقبال رأس سنة 1933 في قصر الرئاسة ، انهم شعروا بتزعزع الحكم والارتباك السائد على الرئيس المعيَّن وعلى محيطه . وكان المطران مبارك من اشد المقاومين للدباس وحكمه . وقد اجتمعنا معه ومع رياض الصلح في بيت احد الاقرباء وتعاهدنا على تقويض حكمه » .

حبيب باشا السعد

من الدباس الى حبيب باشا السعد . المفوض السامي يعيِّن والمفوض السامي يقيل . الرئيس اللبناني رئيس يرئسه المفوض ، ويرئس عبره الشعب اللبناني .

وما ان عُيِّنَ دي مارتيل مفوضاً جديداً خلفاً للمفوض بونسو ، حتى فكر جدياً بتبديل الأوضاع الموقتة بأوضاع موقتة اخرى ، بغية اعادة الدستور الى حيز التنفيذ انما على مراحل . وكان معروفاً لدى الجميع ان بطريرك الموارنة يريد حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية ، وشاع انه لم يسكت عن وقف الدستور وتولية الدباس الا بعدما اخذ وعداً من بونسو بأن يكون السعد خلفاً للدباس .

وفي اواخر 1933 قدّم الدباس استقالته فأصدر المفوض السامي قراراً بتعيين حبيب

باشا رئيساً للجمهورية سنة واحدة تبدأ في آخر كانون الثاني 1934 على ان يفصل تعيينه عن تسلمه الحكم بشهر واحد يكون « فترة انتقال » لا يعمل فيها الرئيس الجديد اي عمل حكومي ، ويتولى فيها الحاكم اوبوار الاشراف على الانتخابات النيابية . وانزل المفوض دي مارتيل عدد نواب المجلس الى 25 عضواً ، منهم 18 نائباً ينتخبهم الشعب ، وسبعة يعينون بقرار من المفوض السامي على ان تكون ولاية المجلس اربع سنوات .

وفي خريف 1935 اصدر المفوض السامي قراراً بتجديد رئاسة حبيب باشا السعد لسنة واحدة اخرى تنتهي في 30 كانون الثاني 1936 ، وارجئت الدورة العادية للمجلس شهراً واحداً . واول عمل في هذه الدورة هو انتخاب رئيس المجلس وهيئة مكتبه ، فعاكس المفوض السامي واعوانه انتخاب شارل دباس معاكسة سافرة جعلته ييأس ، فآثر الاستقالة على الفشل المحتوم ، وعيِّن خلفاً له باترو طراد ، فانتخب على الاثر رئيساً للمجلس النيابي .

ماذا عن حبيب باشا السعد ؟ .

يقول الذين عاصروا تلك المرحلة ان الفرنسيين جاؤوا بالسعد ارضاء للبطريرك انطوان عريضة الذي اخذ يعلن في المناسبات العامة احتجاجه على بعض اعمال الانتداب . وحبيب باشا من القدامى . فهو ربيب العهد العثماني ، وقد شغل منصب مدير ناحية (قائمقام) في عهد لبنان البروتوكول ، الذي كان العهد الذهبي للجبل في ذلك الزمان ، اذ عاش لبنان وحده مستقلاً دون سائر العالم العربي . وعين السعد في عهد مظفَّر باشا رئيساً لمجلس الادارة . ثم اعيد تعيينه في هذا المنصب في متصرفية اوهانس باشا حتى ايام الحرب الأولى والغاء امتيازات الجبل .

وعلى اثر جلاء الجيوش التركية عن لبنان وسوريا جاء شكري باشا الايوبي حاكماً على بيروت باسم حكومة الشريف الحسين بن علي الذي اعلن الثورة العربية على السلطنة العثمانية . وقد عيَّن شكري باشا زميله في الباشاوية حبيب باشا السعد حاكماً على لبنان باسم حكومة الشريف (تشرين الأول 1918) .

وعندما جيء به قيل للبنانيين في مجالسهم الخاصة : الآن سيكون رئيس جمهوريتكم وجيهاً مارونياً من عين تريز .

وبالفعل كان حبيب باشا وجيهاً باسلوب تركي . والذين عايشوه ولا يزالون احياء يذكرونه بالخير ويتذكرون تهذيبه العالي ووداعته و« ردنكوته » الذي كان لا يخلعه صيفاً ولا شتاء ، وطربوشه الاسطنبولي الضيق من فوق الواسع من تحت . يتذكرون قامته

الطويلة ونظارتيه واناقة كلامه وأبيات الشعر التي كان يرددها في مجالسه ومجالس الآخرين ، وعشقه للسيكارة والاركيلة في الوقت نفسه . يتذكرون كذلك وقاره في حديثه ومشيته ووقاره حتى وهو يلعب « برتية » بوكر في احد بيوت اصدقائه في الحي السرسقي .

ويقول الذين عايشوا حبيب باشا انه كان كذلك نزيهاً بعيداً عن الشر . وكان منزله قرب فرن الحايك في حي اليسوعية دائماً يعج بطالبي الحاجات .

هنا يتوقف المعايشون قليلاً ويسرحون محاولين تذكر بعض حركات حبيب باشا وتصرفاته . يقولون انه كان تركي الوعد على النقيض من منافسه داود عمون الذي تولى رئاسة اللجنة الادارية (المجلس النيابي الأول في عهد الاحتلال) .

كان مثلاً اذا طرق باب بيته لبناني من بعلبك يقابله فوراً ويأمر بتقديم القهوة له واطعامه . ثم يسأله بطريقة عشائرية :

ـ مين انت يا ابني وشو بتريد ؟ .

ويأتي الجواب :

ـ انا فلان من بعلبك . . .

ويقاطعه حبيب باشا : اوه . . . ابوك فلان ولك عم اسمه فلان وجدك اعرفه جيداً .

ثم يبدأ حبيب باشا يعد اصل الرجل وفصله ، وبعدما يعرف منه حاجته يقول له : من كل بد . ضروري . ولو منشان اهلك وعيلتك ما يزعلو راح انهيلك القضية . ارجع بعد اسبوع .

و« ارجع بعد اسبوع » في ذلك الوقت تعني واحداً من امرين . اما ان يعود طالب الحاجة الى بلده والعودة وحدها تكلفه اسبوعاً حيث لا وسائل مواصلات الا الحمير ، او البقاء في بيروت .

ويبقى في بيروت اسبوعاً ينفق خلاله ما يحمله من بشالك ويعود الى منزل حبيب باشا ليلقى الاستقبال والترحيب ذاتيهما . ولا تنقضي الحاجة ، لكن طالبها يعود شاكراً مرتاحاً لاستقبال رئيس البلاد ووقوفه على اصل العائلة وفروعها .

ويقول المعاصرون ان نقيض الباشا داود عمون ـ الأديب الذي عاش عمره ثائراً في وادي النيل ـ اذ كان عندما يستقبل طالب الحاجة يسأله على الفور باللهجة المصرية .

- اسمك ايه يا جدع ؟ .
ويجيب الجدع قائلاً اسمه .
- متعلم فين يا جدع ؟ .
ويقول الجدع اسم المدرسة التي تعلم فيها .

- ما تختشيش وانت متعلم تطلب تكون موظف ؟ يعني عبد ذليل حقير . ده عار عليك . ما فيش . يالله مع السلامة . روح اشتغل اكسب عيشك بعرق جبينك .

اما الذي يجيب داود عمون بأنه غير متعلم فكان يقول له :

- ما تختشيش ؟ ده عار عليك . روح تعلم قبل ما تطلب وظايف . هي الحكومة مأوى عجزة ؟ .

وحبيب باشا السعد هو أول شخص مسيحي في الشرق الأوسط منحه الباب العالي لقب باشا . ولهذا قصة بدأت سنة 1883 يوم كان حبيب السعد يشغل مركز « مدير الجرد الجنوبي » . ففي ذلك الوقت شهدت اسطنبول التي كان معظم بناياتها من الخشب حريقاً هائلاً اتى على الأخضر واليابس وشرد الآلاف من الناس . وفي تلك الاثناء ألّف نجيب باشا ملحمه ، الذي كان في اسطنبول ، لجنة لجمع المساعدات وبعث برسالة الى حبيب السعد في لبنان يتمنى فيها ان يستخدم صداقاته ويجمع بدوره التبرعات للمنكوبين . واهتم السعد بطلب نجيب باشا وجمع من التبرعات ما جمع وأضاف اليها من ماله الخاص الف ليرة ذهباً ، وارسل المبالغ الى تركيا . وعندما عرف الصدر الأعظم ببادرة السعد بعث اليه برسالة شكر . . . مع لقب باشا .

اميـــل اده

بعد حبيب باشا السعد جاء الى الرئاسة ماروني آخر ، وصفه الذين عايشوه بأنه كان فرنسياً بقلبه ، لكنه الوحيد بين انداده من محبي الانتداب الذي قاوم الفرنسيين ، وبسببه عطل المجلس النيابي سنة 1925 يوم دعي لانتخاب حاكم وطني . فقد خاف الفرنسيون بعدما رشح اميل اده نفسه للحاكمية ان ينجح فعطّلوا الجلسة .

وعن رئاسة اده يقول الشيخ بشارة الخوري في الجزء الأول من « حقائق لبنانية » :
« بدأت معركة رئاسة الجمهورية صامتة في اواسط سنة 1931 والمزاحمة ظاهرة بين اميل اده

وبيني ، وحظ مخاصمي ضئيل جداً من حيث عدد مؤيديه بين النـواب . ولـم يكن في امكانه ان يعتمد على الرئيس الدباس لما بينهما من خصومة حقيقة يخفيها الظاهر . ولم يستطع ان يتكل على الشيخ محمد الجسر خصوصاً بعدما اغضب الأوساط المحمدية في عهد وزارته ، فانصرف بقواه كلها نحو المفوضية العليا والحكومة الفـرنسية ، ولـه في باريس اصدقاء كثر ، وهو يسافر كل صيف تقريباً ليغذّي تلك العلائق الطيبة التي اتخذها دروعاً في قتاله . غير ان المسيو بونسو كان حكماً هادئاً ينفر من تطرف اميل اده ، وقـد صارح وزارة الخارجية الفرنسية برأيه هذا عندما كتبت اليه توصية بمساعدة اده . فأجاب « ليس ذلك في الامكان » . وضاقت باده المساعي فعمد الى حملة صحفية ضدي استعملت فيها جميع الاسلحة من قدح وذم وشتيمة ، خصوصاً في الجرائد الفرنسية التي يطالعها الموظفون الفرنسيون ، لكن تلك الحملة لم تأت بالاثر المرغوب » .

وهنا ينتقل الشيخ بشارة الى رواية عن « خطة محكمة للايقاع بيني وبين الشيخ محمد الجسر . وسعوا مع الشيخ الى ان تكون الرئاسة للشيخ محمد نفسه . فلقيت المداورة قبولاً لديه ، وعرض الفكرة على بعض من يريدون تعكير الوضع اللبناني فرحبوا بها .

اخذت الفكرة تتجسم في رأس الشيخ محمد الجسر ، وبدأ يعد لها العـدة فطلع بمشروع قانون باجراء احصـاء عام في البـلاد على الفـور بعدمـا امّـن لهـذا المشروع في الكواليس الاكثرية المطلوبة التي وافقت عليه . فجرى الاحصاء ، لكن النتيجة لم تكن في صالح الشيخ محمد . لكن رئيس المجلس برغم هذه النتيجة لم يحجم عن السير في ترشيح نفسه للمقام الأول ونزل الى الميدان بصورة شبه غامضة .

وزاد في الطين بلة ان بعض نواب مارونيين اتجهوا صوب بكركي لمعاكسة ترشيحي (ترشيح الشيخ بشارة) . وكان البطريرك حويك قد توفي وانتخب مكانه البطـريرك انطوان عريضة . وكان البطريرك معروفاً بميله الى حبيب باشا السعد ، فأقنعوه بأن الباشا لا حظ له في الفوز ، وأوغروا صدره عليّ باعتبـاري صديق الشيخ الجسر ، وان ترشيح الشيخ محمد هو صوري يهدف من ورائه الى مساعدتي ، فعاكسني البطريرك هو أيضاً ، وعبثاً حاولت اقناعه بأن ما يزعمه خصومي هو مداورة سياسية وانني سوف اصبح المرشح الماروني الوحيد ضد الشيخ محمد فلم يقتنع . واخذ المطران يتردد الى المفوضية الفرنسية ويعلن معاكسة البطريركية المارونية لترشيحي » .

بنتيجة ذلك كله ، وفي يوم الاثنين 9 ايار دعا المسيو ريكلو مندوب المفوض السامي في لبنان الشيخ محمد الجسر الى ديوانه في السراي الصغير فلبى الشيخ الدعوة وفي يده نسخة

من الدستور ليشرح له النصوص المتعلقة بالانتخاب . ففاجأه المندوب بتسليمه قراراً من المفوض السامي بإيقاف مفعول الدستور وحل المجلس النيابي والوزارة وبتعيين الدباس رئيساً للدولة لأجل غير مسمى ، يعاونه مجلس مديرين . فصارت يد الشيخ ترتجف من التأثر وخرج مع النواب وأركان الوزارة من السراي . وبقي الدبـاس في كرسي الحـكم رئيساً معيناً ، بعدما مكـث ست سنوات رئيساً للجمهورية منتخباً انتخاباً شرعياً وحامياً لذمار الدستور (. . .) .

وفي كانون الأول صدر قرار من المفوض السامي بانتخاب رئيس جمهورية لمدة ثلاث سنوات غير قابلة التجديد ، وعين الانتخاب في اليوم العشرين من كانـون الثـاني سنـة 1936 ، وعقب القـرار المذكور بلاغ بالتـزام الحياد من جانب السلطـة الفـرنسية . . . وانتخب اميل اده .

واده من مواليد دمشق ، لكنه انتقل بعد ذلك الى قرية قب الياس في البقاع وبقي فيها فترة من الزمن . ولا يزال بيت والده ابرهيم اده حتى الآن فيها . اما اصل العائلة فمن قرية اده في جبيل وقد انتقل اجداده الى بيروت في القرن السادس عشر وكان منهم الاغنياء ، والوجوه في الطائفة المارونية . وتولى احدهم امانة جمـارك بـيروت في القـرن الثامن عشر وصار آخر « كاخية » (رئيس وزارة) للحاكم الامـير منصـور الشهابـي . واشتهروا جميعهم بالامانة والذكاء الشديد والجرأة .

درس اميل اده في اليسوعية في بيروت ونال شهادة الحقوق في فرنسا . ولما عاد من باريس عين محامياً للقنصلية الفرنسية . وهذا المنصب كان له شأنه في اتجاه اميل اده نحو العمل في السياسة والطموح الى مراكز حساسة .

ولما اعلنت الحرب العالمية الأولى هرب مع الذين هربوا من بيروت الى مصر فحكم عليه بالاعدام غيابياً .

وبعد الحرب اختير عضواً في الوفد اللبناني الذي سافر الى مؤتمر السلام في فرنسا للمطالبة باستقلال لبنان عن سوريا .

سنة 1922 انتخب نائباً عن بيروت ودخل المجلس النيابي وهو لا يحسـن التكلـم بالعربية ، لكنه بعد عشر سنوات لم يعد يرافع امام المحاكم بالفرنسية وصار يرتجل العربية ويستشهد بالشعر العربي .

وفي عهد شارل دباس تولى رئاسة المجلس ثم رئاسة الوزارة .

وعندما جرت معركة رئاسة الجمهورية الثالثة (20 كانون الأول 1936) انتخب بأكثرية صوت واحد اذ نال 13 صوتاً ونال منافسه الشيخ بشارة الخوري 12 صوتاً . واعيد الانتخاب فنال 14 صوتاً ضد 11 ، وعرف يومها ان الذي انضم اليه في الدقيقة الاخيرة هو الاستاذ كميل شمعون يمين الشيخ بشارة الخوري وأحد أركان الكتلة الدستورية .

وتذكر الصحف الصادرة في تلك الفترة ان الشيخ بشارة في الدورة الثانية للاقتراع **التفت الى الاستاذ كميل شمعون** وقال له علناً على مسمع من النواب والحاضرين : كميل **خلينا مثل الدورة الأولى .**

وبعد اعلان النتيجة التفت الشيخ بشارة الى الاستاذ كميل شمعون وهـز رأسـه فعرفت الجماهير الحاضرة ان الصوت الرابع عشر كان صوت كميل شمعون الذي عين بعد هذه البادرة وزيراً للمالية في حكومة الائتلاف .

وفي عهد اميل اده وضعت المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية التي أقرها المجلس النيابي اللبناني ورفض المجلس الفرنسي اقرارها . وتعترف المعاهدة باستقلال لبنان وتتعهد فرنسا بموجبها بادخاله عصبة الأمم . ومن بنودها المشهورة المادة 6 مكررة (يعني توزيع المناصب في الدولة على الطوائف بالتساوي) .

اما ابرز الحوادث في عهد رئاسة اميل اده فانه لم يحلف اليمين الدستـورية لأن الدستور كان معلقاً وان رئاسته مددت لكنه لم يكملها بسبب خلافه مع المفوض السامي .

بعدما اصبح رئيساً سابقاً للجمهورية خاض معركة الانتخابات عن جبل لبنان سنة 1943 وربحها في دورة البالوتاج (وفاز كذلك في البالوتاج رئيس اللائحة المنافسة ، الشيخ بشارة الخوري الذي انتخب في ما بعد رئيساً للجمهورية) . لكنهم في انتخابات 25 أيار 1947 اسقطوه . ويقول الذين نفذوا عملية اسقاط اميل اده انهم كانـوا يحذفـون الرقـم الاخير من مجموع الأصوات التي ينالها في كل قلم اقتراع . ومثالاً على ذلك ان الـ240 صوتاً تصبح 24 صوتاً . وسبب اسقاط اميل اده انه كان يقود المعارضة ـ بعدما اسس الكتلة الوطنية ـ ضد عهد الشيخ بشارة الخوري .

ومن الحق ان ننصف الرجل الذي ظلم كثيراً ، ولم تراع الاسبـاب التخفيفية في الحكم عليه : فاميل اده نشأ نشأة غربية بحتا حتى كاد يجهل لغة قومه . ونشأ وفي مخيلته اشباح الظلم الاسـود ، والحـكم « القـره قوشي » ، والتفرقـة **المؤلمة** بـين ابنـاء الوطـن الواحد . . . فمال بقلبه وعقله وجوارحه كلها الى « الام الحنون » ، واهماً ان فرنسا هي التي ستحرر بلاده . وكثيرون من جيل اميل اده من مسيحيين ومسلمين ظنوا هذا الظن .

ولما ذاب الثلج انكسر خيال الجميع . . . لكن اميل اده امتاز ، مثل داود عمون ، عن جميع انداده بأنه وقف في وجه الاشخاص الفرنسيين وتحداهم وكال لهم الصاع صاعين ، مما لم يفعله الكثيرون . ولا ريب ان غلطته في ثورة تشرين اقصته عن الزعامة الحقيقية الكاملة بجميع تيارات المعارضة . ولولا تلك الخطيئة لكان وضعنا في لبنان غير ما أصبح عليه .

وعندما يتحدث معايشو اميل اده واصدقاؤه عنه فانهم يتحدثون باعجاب وتقدير كبيرين عن ذلك المثقف الالمعي والخطيب باللغة الفرنسية والمحامي الحاضر الذهن والسياسي الانيق ، القصير القامة ، الطلي الحديث ، المجادل السريع النكتة ، الاخضر القلب ، الديناميكي . يتحدثون كذلك عن حبه للحلقات الاجتماعية ولعبة البريدج ، ووفائه لاصدقائه وحبه للسفر والصداقات التي كانت تربطه بعظماء فرنسا ورجالاتها .

كان يدخّن بكثرة ، ثم ترك عادة التدخين . وعندما انتخب رئيساً للجمهورية كان مستأجراً منزلاً في ملك شارل ابيلا في شارع كليمنصو وبعدها انتقل الى المنزل الخاص الذي بناه في محلة الصنائع ويسكنه الآن ابنه العميد ريمون اده .

وهل كانت رئاسة الجمهورية تعن على باله بعدما اخذوها من طريقه ؟ .

يجيب عارفوه : كانت اكثر الأمور التي تشغل باله . فقد كان رئيساً من طراز فريد ، وكان يريد ان يجعل الرئاسة من الطراز نفسه .

وفي 27 ايلول 1949 توفي اميل اده في منزله في صوفر عن 65 سنة . وسنة 1955 توفيت زوجته . وقد منع الشيخ بشارة الخوري جميع الرسميين من تشييع جنازة اميل اده ، لكن ذلك لم يمنع الأهالي من صوفر حتى بيروت من الاشتراك في تشييع الرئيس الذي ولد في دمشق لكنه ترأس لبنان ثم دفن في بيروت .

الفرد نقاش

في عهد رئاسة الفرد نقاش ، التي بدأت في 24 تشرين الأول 1941 ، طالب تجار بيروت وأعيانها ورؤساء طوائفها بجعل العاصمة مدينة مفتوحة لتجنيبها ويلات الحرب . فكتب الرئيس نقاش الى المفوض السامي يؤيد هذا الطلب . . . لكنه اختلف مع رئيس

وزرائه سامي الصلح . وطلب من سامي بك ان يستقيل فقال البابا سامي : « لا استقيل الا انا والرئيس » .

والفرد نقاش من مواليد 1888 . بعدما انهى دروسه الثانوية في اليسوعية توجه الى باريس وعاد ومعه شهادة الحقوق ، ثم سافر الى القاهرة وأمضى فيها سبع سنوات تعاطى في ثلاث منها مهنة المحاماة ، وكان في الوقت نفسه يحرر في صحيفتي « La Bourse Egyptienne » و« Le Journal du Caire » ويعالج في مقالاته مواضيع تتعلق بلبنان الذي كان يومذاك متصرفية ، مطالباً بتحرير لبنان من السلطنة العثمانية وتأمين مرفأ له في جونيه .

وكان لمقالات ألفرد نقاش صداها ، حتى ان بعض المجالس البرلمانية العالمية ، ومنها مجلس النواب الفرنسي ناقش الفكرة والدعوة .

وكان طبيعياً ان لا تعجب افكار النقاش الاتراك ، فصدرت في عهدي انور وجمال باشا سلسلة احكام بحق اللبنانيين المناضلين منها حكم غيابي باعدام ألفرد نقاش .

وبعد انتهاء الحرب عاد ألفرد نقاش ليعمل محامياً ثم قاضياً في الاستئناف والتمييز ثم عضواً في مجلس الشورى . وذاع صيته كنزيه وتقي ورع ومسالم ، فعينه الفرنسيون رئيساً للدولة ثم رئيساً للجمهورية .

وبدأ حياته الرئاسية بتصريح رنان عند دخوله السراي قال فيه : « اعرف في البلاد لبنانيين فقط ولكنني لا اعرف خوريين واديين » .

وبقي ألفرد نقاش رئيساً للجمهورية الى ان جاء يوم قرر فيه الجنرال كاترو المفوض السامي الفرنسي التخلص من النقاش وحكومته ليدخل البلاد الطور الحاسم ويضع حد للحالة الموقتة ، وذلك باجراء الانتخابات العامة وانتخاب رئيس للجمهورية .

وعرف ألفرد نقاش عزم المفوض السامي ، فاتفق مع سامي الصلح على ان تجري تظاهرة امام الجامع الكبير يوم عيد المولد النبوي لدعم مركزهما . وسارت التظاهرة في الشوارع تتقدمها الهوادج ، وكأنها استعجلت الحل المنتظر ، ففي مساء ذلك اليوم عينه صدر قرار المفوض السامي باقالة الرئيس النقاش وحكومته وتعيين أيوب تابت رئيساً للحكومة الموقتة .

بعدما اصبح ألفرد نقاش في سلك الرؤساء السابقين انتخب نائباً لبيروت . وفي عهد الرئيس كميل شمعون عين وزيراً وكان من وقت الى آخر يلقي محاضرات ويكتب

مقالات بالفرنسية لمجلة « الشراع » التي يصدرها الأب قرطباوي . وهو يسر الى بعض اصدقائه بأنه يدون مذكرات سينشرها ذات يوم . وقد انتهى به المطاف الى رئاسة مصلحة الانعاش الاجتماعي وتمثيل الرئيس **فؤاد** شهاب في احتفالات بعض الدول بمناسباتها الوطنية . واخيراً برز اسمه في خضم أزمة من سيخلف فؤاد شهاب ، ولكن عاد الاسم واختفى .

أيوب تابت

لو أردت تحديد أيوب تابت ، الذي عين رئيساً للدولة بعد رئاسة ألفرد نقاش في كلمتين ، لقلت عنه « أبو المتناقضات » . فقد كان من طراز خاص . بروتستانتي المذهب والثقافة ، لكنه متعصب للكاثوليكية اكثر من أبنائها . درس في المدارس الانكليزية والاميركية ، لكنه كان هائماً بالثقافة اللاتينية . عاش في الولايات المتحدة ، لكنه كان يعمل للسياسة الفرنسية .

أول عهد أيوب تابت في السياسة كان عمله في الحركة الاصلاحية في بيروت مع مجاراته للحركة اللامركزية التي اشعلت نار الثورة العربية . وكان من الذين اشتركوا في المؤتمر العربي الأول في باريس (حزيران 1913) .

وقليلون جداً الذين يعلمون ان سلوك أيوب تابت في فرنسا أيام المؤتمر العربي هو الذي أنقذ حياة كثيرين من شبان العرب في الحرب العالمية الأولى أثناء بطش جمال باشا والمجلس العرفي بأحرار الدعوة العربية . وتفصيل ذلك أن أيوب تابت صار يتردد خلسة الى وزارة الخارجية الفرنسية في باريس ويؤكد لموظفيها ان اللبنانيين والسوريين بأكثريتهم الساحقة على اختلاف اديانهم يتمنون ان تحتل فرنسا بلادهم وان تنقذهم من الظلم التركي . ولاحظ سليم علي سلام المعروف بـ (ابو علي سلام ـ والد الرئيس صائب سلام) وزميله احمد مختار بيهم (والد امين) ذلك التردد ، ورجحا ان يكون رفيقهما أيوب تابت ساعياً الى ترويج السياسة الفرنسية فحفظا الأمر في صدريهما .

ولما انتهى المؤتمر رأى كبار المؤتمرين ان يزوروا وزارة الخارجية الفرنسية ليشكروها على سماحها لهم بعقد مؤتمرهم في باريس . وقد قاموا بالزيارة فاستقبلهم الامين العام لوزارة الخارجية معتذراً بأن الوزير غائب وانه كان يود أن يستقبلهم شخصياً . وفي حديث المجاملات وتبادل العواطف الولائية بين فرنسا وسوريا اغتنم ابو علي سلام المناسبة وقال

لممثل فرنسا : « يهمنا يا سعادة السفير ان تعرفوا حقيقة شعورنا ورأينا في مصير بلادنا . فنحن اذا طالبنا باللامركزية وبالحقوق العربية المهضومة فإننا شديدو الاخلاص لسلطنة جلالة امير المؤمنين الخليفة الاعظم ولا يمكن ان ننسلخ عن سلطنته ولا يخطر في بالنا مطلقاً ان نطلب حمايتكم ومجيئكم الى بلادنا . وهذا كلام اصدقاء يشكرون لفرنسا عطفها على اماني العرب وخدماتها لهم » .

وقد أيد احمد مختار بيهم كلام زميله فامتقع وجه امين وزارة الخارجية الفرنسية ، لكنه كتم غيظه اذ كان ينتظر عكس الذي سمعه .

وبعد خروج الوفد من عنده ابرق الأمين العام للوزارة الى سفارة فرنسا في اسطنبول والى المقيم الفرنسي في القاهرة والى قناصل فرنسا في بيروت ودمشق وبغداد يعلمهم حديث ابي علي سلام ويطلب اليهم ان لا يثقوا بـ « الاصلاحيين » ولا سيما بسلام وبيهم .

وتمر الأيام وتعلن الحرب ويستولي الاتراك على سجلات القنصلية الفرنسية في الشرق ويعثرون على هذه البرقية . وكان جمال باشا يكره أبا علي سلام كره التحريم ، وقد طلب اليه زملاؤه الاتحاديون في الاستانة ان يحارب ابا علي ويذله لأنه كان خصماً عنيداً له . وفي الواقع ما ان وصل جمال باشا حتى بدأ اضطهاد سلام وأمر باعتقاله ، فلما وقعت أوراق السفارة والقنصليات الفرنسية في ايدي الأتراك واطلع جمال باشا على برقية وزارة الخارجية بصدد مقابلة أبي علي سلام ، استيقظ ضمير جمال باشا ودعا اليه أبا علي واعتذر منه ، وكذلك اعتذر من احمد مختار بيهم . وفي أول زيارة قام بها جمال باشا لبيروت خطب في دار المفتي بخلاصة مضمون البرقية .

أما أيوب تابت فكان قد هرب أول الحرب خوفاً من مشنقة الأتراك التي كانت تنتظره ، وذهب الى فرنسا ، ومنها الى نيويورك حيث اندفع يهاجم الحكم التركي في العالم العربي .

ولما انتهت الحرب عاد أيوب تابت مع أول العائدين الى بيروت ، ونشط مع « رابطة الطوائف المسيحية » الى المطالبة بالانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا . ثم انتخب نائباً عن الاقليات في بيروت .

واشتهر ايوب تابت في الحكم « بدفعات ثورية » . فمنع يوم كان وزيراً للداخلية التبويل على الحيطان في الشوارع .

ومن « دفعات » أيوب تابت « الثورية » انه حارب زمور السيارات فمنع التزمير منعاً باتاً . وكان اذا اتفق ان زمر سائق دون انتباه لدى وصوله الى ساحة الشهداء ، وثب

أيوب تابت من مكتبه في وزارة الداخلية في السراي القديم وأسرع الى أول شرطي ليطارد الزامر .

ومن عادات أيوب تابت تشديده على الموظفين بضبط مواعيد الدوام ، والويل للموظف الذي كان يأتي بعد الساعة الثامنة الى مكتبه . ومن « دفعاته » أيضاً انه منع شرب القهوة في الدوائر الرسمية حتى ضج النواب والوزراء والمديرون وكبار الموظفين . ولما استقال من الوزارة اعادوا عادة **شرب القهوة الى سابق عهدها** .

وقضى أيوب تابت حياة برلمانية صاخبة . فما تمت مداورة على الحكومة في رئاسة شارل دباس الأولى الا كانت له فيها اليد الكبرى بالاتفاق مع صديقه اللدود اميل اده . ولم تعرف وزارة من وزارات عهد الانتداب الضجات التي كانت تثيرها وزارات أيوب تابت . فهو عنيف مقدام صريح في صداقاته وتعصبه وخصوماته ، نزيه الكف ، وفي العهد .

والذين عرفوه اكتشفوا « الفتلة » التي رافقت حياته الخاصة . فهو لم يتزوج ، وكان يقضي اكثر جلساته ينظم القرادي (يقال انه كان من اكبر الزجالين) ويصطاف في سرادق في كروم بحمدون بعيداً عن الناس .

وفي 18 آذار 1943 تولى أيوب تابت رئاسة الدولة ووزعت الوزارات على معاونيه الوزيرين المير خالد شهاب والاستاذ جواد بولس . ورأى الرأي العام ان عهداً جديداً قد يأتي بالخير على لبنان . لكن هذا الأمل المشروع لم يتحقق اذ ان الدكتور تابت ادخل تعديلاً خطيراً في قانون الانتخابات رأت فيه الطوائف الاسلامية مساً بحقوقها ، إذ ان التعديل قد اعتمد على احصاء جميع المغتربين في توزيع المقاعد فنال المسيحيون سبعة مقاعد فوق المقاعد التي نالها المسلمون .

ويقال ان فريقاً من العسكريين كانوا غير راضين عن تعيين أيوب تابت رئيساً للدولة ويرغبون في تعيين مرشح آخر ، فاشتركوا في اثارة الرأي العام الاسلامي على العهد التابتي ، مما حمل المفوضية الفرنسية على اقالة أيوب تابت ووزيريه وتعيين بترو طراد رئيساً للدولة ومعه وزيران مساعدان هما عبد الله بيهم وتوفيق لطف الله عواد .

بترو طراد

كان بترو طراد هاوي سياسة وهاوي محاماة . هكذا يقول الذين عايشوه ورافقوه . وقد اشتهر اكثر ما اشتهر بأنه وقع مع خمسة من اصدقائه عريضة رفعوها باسم الطوائف المسيحية في بيروت الى وزارة الخارجية الفرنسية في 12 آذار 1913 يطالبون فيها بأن تكون سوريا (بما فيها لبنان وفلسطين) منطقة مستقلة عن السلطنة العثمانية يديرها اختصاصيون فرنسيون ، وتكون تحت الحماية الفرنسية . وقد اثارت هذه المذكرة نقمة جمال باشا على العرب اجمالاً وعلى المسيحيين منهم بصورة خاصة ، فأصدر امره الى المجلس الحربي في عاليه بأن يحكم على موقعيها بالاعدام .

وقد امتثل المجلس المذكور لأوامر الباشا التي طالما نفذها بالاعدام والتشريد والنفي دون اي تحقيق قانوني .

وهكذا حكم على أصحاب العريضة بالاعدام . وشاءت الاقدار ان يكونوا جميعهم هربوا من بيروت الى مصر وأوروبا ولم يبق منهم في لبنان الا يوسف الهاني عميد الطائفة المارونية في بيروت فسجن ثم شنق .

اما الذين نجوا بجلودهم فهم المرحومون : بترو طراد ، أيوب تابت ، نخله تويني ، رزق الله ارقش وخليل زينيه .

بعد انتهاء الحرب رجع بترو طراد الى بيروت صديقاً للفرنسيين والف مع أخوانه اصحاب العريضة الذين عادوا الى وطنهم بعد انتهاء الحرب جمعية جديدة باسم « رابطة الطوائف المسيحية » ضموا اليهم فيها جمهرة من رجال الفكر والوجاهة والمال واندفعوا بحماسة شديدة الى المطالبة بالانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا .

وقد لمع اسم بترو طراد محامياً كبيراً فصار مكتبه من اعظم مكاتب المحاماة في الشرق وعمل فيه كثيرون صاروا بعد ذلك من أصحاب الباع في دنيا المحاماة .

واشتهر بخدمة الناس واصحاب الحاجات والدفاع عن الفقراء بلا استثناء على اختلاف طوائفهم ، مع انه لم يكن موسراً الا انه لم يكن مقبوض اليد . ويروى عنه انه كان يستقبل الناس من ناخبين وغيرهم وهو يرتدي « روب الحمام » واحياناً « البيجاما » .

سنة 1925 اختير نائباً لبيروت عن الطائفة الارثوذكسية بحماسة جمعت رغبة الفرنسيين وأبناء البلاد معاً . وكان اختير عضواً في اللجنة الادارية سنة 1922 .

وسنة 1937 عين رئيساً للمجلس النيابي وبقي رئيساً حتى 21 أيلول 1939 .

وكثيرون من معايشيه يتحدثون عن طريقته الغريبة في ادارة الجلسات وعن صبغة الشعر التي كانت تذوب من الحر فتتساقط حبيبات على وجهه . ومن اجل ذلك كان المنديل لا يفارق يديه وهو في مجلس النواب .

ومما يذكر ان بترو طراد برغم ثقافته الفرنسية كان يخطب بالعربية بفصاحة وطلاقة ، لكنه (ويذكر ذلك جميع الذين عرفوه) كان يخطىء في لفظ كلمة « يا سيدي » فيلفظها مفتوحة الياء . وبعض الذين عرفوه يقولون انه لم يكن يخطىء في اللفظ ، لكنه كان يتعمد لفظ الكلمة على هذا الشكل .

واستمر بترو طراد نائباً عن الطائفة الارثوذكسية الى ان تأزم الموقف السياسي في صيف 1943 . عندها اختير رئيساً للدولة لمراقبة الانتخابات فوقع هذا الاختيار موقعاً طيباً عند جميع الفئات المعارضة والموالية على السواء .

ولما انتهت الانتخابات النيابية وانتخب المجلس الجديد الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية الاستقلالية اصر الرئيس المنتخب في أول خطاب ألقاه في المجلس النيابي فور انتخابه على الاشادة بنزاهة بترو طراد .

وقد قضى بترو طراد حياته عازباً . قضاها يضع زهرة في عروة جاكيتته . وقلما كان يخرج دون الزهرة . وكان يضع على رأسه برنيطة من القش صيفاً واخرى من الجوخ الأسود (ميلون) في الشتاء .

وهو ، للمناسبة ، عم السيدة نينا طراد قرينة رئيس الجمهورية السابق شارل حلو .

وزارات ما قبل الاستقلال

● الوزارة الأولى برئاسة أوغست أديب (من أول حزيران 1926 الى 5 أيار 1927) : نجيب قباني ، بشارة الخوري ، يوسف افتيموس ، نجيب اميوني ، علي نصرت الأسعد ، الدكتور سليم تلحوق .

● الوزارة الثانية برئاسة بشاره الخوري (من 5 أيار 1927 الى 5 كانون الثاني 1928) : جورج تابت ، خالد شهاب ، احمد الحسيني ، الدكتور سليم تلحوق ، الياس فياض .

● الوزارة الثالثة برئاسة بشاره الخوري (من 5 كانون الثاني 1928 الى 10 آب 1928) : أيوب تابت وحسين الأحدب .

● الوزارة الرابعة برئاسة حبيب السعد (من 19 آب 1928 الى 14 أيار 1929) : حسين الأحدب ، صبحي حيدر ، موسى نمور ، الدكتور اسبيريدون أبو الروس .

● الوزارة الخامسة برئاسة بشاره الخوري (من 14 أيار 1929 الى 12 تشرين الأول 1929) : نجيب أبو صوان وحسين الأحدب .

● الوزارة السادسة برئاسة اميل اده (من 12 تشرين الأول 1929 الى 20 آذار 1930) : نجيب ابو صوان ، موسى نمور ، حسين الأحدب ، احمد الحسيني ، جبرائيل منسى .

● الوزارة السابعة برئاسة اوغست أديب (من 25 آذار 1930 الى 21 تموز 1931) : احمد الحسيني ، موسى نمور ، حسين الأحدب ، جبران تويني وزير المعارف التي اوجدت البكالوريا في عهد وزارته .

● الوزارة الثامنة برئاسة اوغست اديب (من 22 تموز 1931 الى 10 أيار 1932) : صبحي حيدر ، موسى نمور ، حسين الأحدب ، جبران تويني .

● الوزارة التاسعة برئاسة خير الدين الأحدب (من 5 كانون الثاني 1937 الى 14 آذار 1937) : ابراهيم حيدر ، الامير خليل أبي اللمع ، حبيب أبو شهلا .

● الوزارة العاشرة برئاسة خير الدين الأحدب (من 14 آذار الى 10 تموز 1937) : احمد الحسيني ، ميشال زكور ، حبيب أبو شهلا .

الياس سركيس

● الوزارة الحادية عشرة برئاسة خير الدين الأحدب (من 10 تموز 1937 الى 30 تشرين الأول 1937) : احمد الحسيني ، خليل أبي اللمع ، جورج تابت ، حبيب أبو شهلا .

● الوزارة الثانية عشرة برئاسة خير الدين الأحدب (من 30 تشرين الأول 1937 الى 13 كانون الثاني 1938) : ابراهيم حيدر ، مجيد ارسلان ، موسى نمور ، جورج تابت ، حبيب أبو شهلا ، سليم تقلا .

● الوزارة الثالثة عشرة برئاسة خير الدين الأحدب (من 13 كانون الثاني الى 21 آذار 1938) : ابراهيم حيدر ، حكمت جنبلاط ، جورج تابت ، موسى نمور ، خليل كسيب ، الدكتور كامل غرغور .

● الوزارة الرابعة عشرة برئاسة خالد شهاب (من 21 آذار الى أول تشرين الثاني 1938) : احمد الأسعد ، حكمت جنبلاط ، كميل شمعون ، يوسف اسطفان ، خليل كسيب ، سليم تقلا .

● الوزارة الخامسة عشرة برئاسة عبد الله اليافي (من أول تشرين الثاني 1938 الى 22 كانون الثاني 1939) : صبري حمادة ، حميد فرنجية ، روكز أبو ناضر ، خليل كسيب .

● الوزارة السادسة عشرة برئاسة عبد الله اليافي (من 22 كانون الثاني الى 21 أيلول 1939) : ابراهيم حيدر ، حكمت جنبلاط ، موسى نمور ، روكز أبو ناضر ، حبيب أبو شهلا ، جبرائيل خبّاز .

● في 10 نيسان 1941 صدر قرار من المفوض السامي عين بموجبه الفرد نقاش رئيس حكومة دولة لبنان . وفي اليوم نفسه صدر مرسوم رقمه N 1 بتعيين احمد الداعوق وكيلاً لأمانة سر الدولة للاشغال العامة والبرق والبريد وباعطائه لقب ورتبة نائب رئيس مجلس وكلاء امانة سر الدولة . وبتعيين كل من وكلاء امانة سر الدولة : جوزف النجار للمال والاعاشة ، فيليب بولس للتربية والشبيبة ، الدكتور فؤاد عسيران للصحة والاقتصاد .

● في 21 كانون الأول 1941 وبناء على تصريح الجنرال كاترو اصدر رئيس الجمهورية مرسوماً بتعيين احمد الداعوق رئيساً لمجلس الوزراء وزيراً للمال . وتشكلت الحكومة على الوجه الآتي : فيليب بولس ، احمد الحسيني ، حميد فرنجية ، امين السعد ، رامز سركيس ، واصف عز الدين ، احمد الاسعد ، حكمت جنبلاط ، ألفرد سكاف .

● وفي 27 تموز 1942 شكلت حكومة جديدة برئاسة سامي الصلح استمرت الى 18 آذار 1943 على الوجه الآتي : موسى نمور ، احمد الحسيني ، فيليب بولس ، حكمت جنبلاط ، جورج كفوري .